وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية

دراسة ميدانية حول الميزابيين المقيمين بمدينة باتنة

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع

تخصص ديني

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: مولود سعادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
الأستاذ الدكتور: مراد زعيمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عنابة	مقررا
الدكتور: كمال بوقرة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مناقشا
الدكتور: مختار بشتلة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مناقشا

إعـــداد الطالب:

بن منصور اليمين

إشراف الأستاذ

الدكتور: مراد زعيمي

السنة الجامعية: 2010/2009.


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الفصل الثالث: التنمية الاجتماعية.

الفصل الرابع: القيم الإسلامية.


مقدمة

لقد حدث تطور كبير وسريع في الحياة الحضارية والاجتماعية في العصر الحديث، من حيث مناهج الفنون والآداب والعلوم وتفاصيل المخترعات، والصناعة والتقنية العالية، من الحركة العلمية الحديثة المستمرة، التي كشفت عن القوانين المادية المودعة في الوجود، وكيفية تسخيرها لتحقيق سعادة الإنسان في شتى مجالات الحياة، ولقد انبثقت عن مظاهر ذلك التطور تنمية حضارية واجتماعية هائلة، أثرت على سلوك الإنسان ونظام المجتمع تأثيرا كبيرا من حيث علاقة الإنسان بالعالم الخارجي، عندما سخر في إطار تلك التنمية، قوانين الحياة لمزيد من الرفاهية والقضاء على آثار الجهل والجوع والمرض، بحيث حصل الإنسان على نتائج باهرة في المجتمعات التي حدثت فيها التنمية في ظل ذلك التقدم المادي الكبير .

غير أن التجارب أثبتت أن تلك النتائج لم تشبع دوافع الإنسان الجوهرية كلها، وبقيت مساحات مهمة منها فارغة فراغا مخيفا، لأن الحاجات الإنسانية ليست مادية فحسب، بل هي حاجات شاملة شمول دوافع الإنسان المتنوعة، منها المادية ومنها الروحية، والتي تمثل أخص خصائصه.

ولذلك فإن التنمية الحضارية الحديثة بقدر ما خدمت الإنسان سببت له أزمات نفسية وروحية واجتماعية وأخلاقية في غاية الخطورة، أي أن التنمية التي استندت على المناهج المادية وحدها لم تحترم أبدا صاحبها وموجدها، بل إنها لم تحاول أن تعرفه معرفة حقيقية، ولا شك أن السبب الحقيقي لإخفاق التنمية الحديثة في إسعاد الإنسان، يرجع إلى النظام الحضاري الذي يقف وراءها، والذي يعتمد المادية البحتة، وعد الإنسان حيوانا كسائر الحيوانات، متأثرا بذلك بنظرية التطور والنظريات الاجتماعية التي تفرعت عليها .

وإذا تأكد بأن التنمية في الغرب اتجهت اتجاها ماديا بحتا، وحاولت التركيز على الحياة المادية وحدها مهملة أشد الإهمال الاهتمام بمبادئ الدين الحق، وتربية الضمير والتخطيط لتوجيه الجانب الأخلاقي والاجتماعي في الإنسان، ففي العالم الرأسمالي بالسيطرة الاحتكارية على مصائر الأكثرية الساحقة من الناس، وفي العالم الشيوعي بتثبيت هيمنة الدولة على الحياة الاقتصادية، وتحريم ملكية الأفراد وإنكار المبادرة الفطرية الفردية، فإن عملية استيراد النماذج التنموية الغربية في

العالم الإسلامي يعد خطأ كبيرا، لأنها تطبق في مجتمعات تختلف في تطورها التاريخي ومنظومتها الحضارية .

وإذا كان لابد من التأكيد على أهمية القيم الإسلامية في إحداث التنمية المنشودة، فلأنها تنبثق من عقيدة الأمة ومنهج حياتها، ولأنها نقلتها من حياة البداوة والتمزق إلى حياة الحضارة والحركة والوحدة، وتحولت بفضلها إلى أرقى حضارة، أدت دورها العظيم في خدمة العالم الإسلامي كله والإنسانية جمعاء، وتحقيقا لهذه النظرة الإسلامية للتنمية، لابد من إعادة دراسة المبادئ والتعاليم التي جاء بها الوحي، في ضوء الواقع الاجتماعي المعاصر.

ولمعالجة قضية التنمية الاجتماعية في الواقع الاجتماعي الجزائري، من خلال المدخل القيمي الإسلامي تم تقسيم البحث إلى خمسة فصول، يتناول الفصل الأول المتمثل في الفصل التمهيدي، إشكالية الدراسة وفروضها وأهمية الدراسة وأسباب اختيارها وأهدافها، ومجالات الدراسة الميدانية، وكذلك المنهج المتبع وأدوات جمع البيانات المتمثلة في استمارة استبار والعينة المستخدمة، أما الفصل الثاني فتناول المتغير الأول من الدراسة المتمثل في القيم بصورة عامة، من خلال إيراد التعريف اللغوي للقيم في اللغة العربية، ثم بعض المقاربات النظرية التي حاولت الإحاطة بموضوع القيم في الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية، مع ذكر أهم خصائص القيم وأنواعها، مع تناول بعض المصطلحات التي يراها البحث متداخلة في مفهومها مع القيم، وعلاقة القيم ببعض المواضيع الأخرى كالدين والمجتمع والنظام الاجتماعي والعقيدة، بما يخدم محاولة الإحاطة بهذا المتغير الأول للبحث.

أما الفصل الثالث فتناول المتغير الثاني للبحث والمتمثل في التنمية الاجتماعية، من خلال محاولة تحديد مفهوم التنمية بصورة عامة والتنمية الاجتماعية بصورة خاصة، مع التطرق لعنصر المقاربات النظرية في دراسة التنمية في الفكر الماركسي والفكر الوظيفي ممثلا بماكس فيبر ودراسته المعروفة حول الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ونقده بالمنظور الإسلامي للتنمية، مع التطرق كذلك لأحد أهم عناصر هذا الفصل والمتمثل في مجالات التنمية الاجتماعية، ومحاولة إبراز مكونات التنمية في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية، كمحاولة تأصيلية في توجيه البحث نحو أهم المتطلبات التي يجب أن تسعى مخططات التنمية الاجتماعية نحو تحقيقها.

أما الفصل الرابع من البحث فحاول التطرق إلى القيم الإسلامية من منطلق أن القيم عبارة عن اعتقاد، ومصدرها هي العقيدة الصحيحة، وعليه تم التطرق إلى مفهوم القيم الإسلامية وخصائصها وأنواعها، وتركيز الاهتمام نحو بعض النماذج من القيم الإسلامية التي لها دور في تحقيق التنمية الاجتماعية .

وتطرق الفصل الخامس إلى عرض البيانات الميدانية وتحليلها وتفسيرها، واستخلاص النتائج.

الفصل الأول: إشكالية الدراسة

1.تحديد مشكلة الدراسة

2.أهمية الدراسة وأسباب اختيارها

3. أهداف الدراسة

4. فرض الدراسة

5.مجالات الدراسة

1.5.المجال المكاني

2.5.المجال البشري

3.5.المجال الزمني

6.العينة

7.المنهج وأدوات جمع البيانات

1.7. المنهج

2.7.أدوات جمع البيانات

1. تحديد مشكلة الدراسة:

من المسلمات المعروفة أن المجتمع البشري لا بد أن يستند في تنظيمه وتسييره على نظرية حضارية، أو قاعدة حضارية مستخلصة من تاريخ الأمة وتطورها، نابعة من حاجاتها، متفقة مع أعرافها وخصائصها، مستفيدة من تجارب الإنسانية كلها، كي توحد بين أبنائها، وتدفعهم إلى التفاهم المشترك والتعاون في بناء الحياة والعمران، والمجتمعات الإسلامية عربية وغير عربية لازالت تعاني تخلفاً في جميع الميادين مقارنة بالمجتمعات الغربية.

لقد سعت هذه المجتمعات منذ تحررها من الاستعمار إلى تبني وتطبيق نماذج تنموية غربية، وعدتها بمثابة النماذج القدوة بمختلف مفاهيمها، وسعت بذلك إلى نقل التكنولوجيا والتصنيع وحتى أساليب الحياة، غير أنه وبعد أكثر من ستة عقود انتهت إلى نتائج مؤسفة مادياً ومعنوياً، وتبين أنها غير متوافقة مع السياق التاريخي والحضاري لواقع هذه المجتمعات الإسلامية، كونها تحمل في مضمونها مفهوما أيديولوجيا.

وبالتالي فإن الحديث عن التنمية هوحديث عن مشروع حضاري ورؤية متعددة الجوانب، وأول ما ينبغي أن نطرحه في هذا الإطار، هو كيف يمكن تحقيق الرؤية الإسلامية للتنمية والتطور في واقع المجتمعات الإسلامية وخاصة في الجزائر، للخروج من مأزق التخلف الذي تعانيه هذه المجتمعات، وسط هذه التغيرات الاجتماعية والإفرازات الحضارية السريعة التي تعيشها اليوم، والمدنية المغالية في ماديتها التي تنشدها كل السياسات التنموية المعاصرة، التي لم تتمكن سوى أن شككت هذه المجتمعات الإسلامية في رصيدها الحضاري وأبعدتها عن أصولها ومبادئها.

إن التنمية لابد أن تتفاعل مع الواقع الاجتماعي للمجتمع، أي أن تكون نابعة من الخلفيات الحضارية لهذا المجتمع، لأن هدف التنمية هو الحفاظ على الخصائص الحضارية للمجتمات، والمتعلقة خصوصا بالجانب العقدي الذي يعد أخص خصائصها، أي تلك التي لا تهمل الاهتمام بمبادئ الدين الحق وتربية الضمير والتخطيط لتوجيه الجانب الأخلاقي والاجتماعي في الإنسان.

إن المجتمع الإسلامي لا بد أن تحكمه شريعة الإسلام التي توجهه نحو الوحدة العقيدية والاجتماعية، وترسم له الخصائص الأخلاقية التي تحافظ عليه من أن يتحوَّل إلى مجتمع التمزق والصراع، والإلحاد والإباحية، أو ينتهي به التطور غير الموجه إلى مجتمع الغاب، الذي يفقد فيه

الإنسان الأمن والشعور بالعدل والأخوة والدعم الأسري والاجتماعي وبالمساواة، وصدق العلاقات، وسمات آدميته المكرمة عند الله تعالى، ولتحقيق هذه النظرة الإسلامية للتنمية لابد من إعادة دراسة المبادئ والتعاليم التي أتى بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في ضوء الواقع الاجتماعي المعاصر، إذ يمكن من خلالها توظيف قدرة العقيدة الإسلامية وشريعتها وقيمها في إحداث التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فهذه المبادئ والقيم الإسلامية ليست مثاليات، وقد عاشتها الشعوب الإسلامية لقرون طويلة، وتقدمت بها أشواطا بعيدة في ميادين العلم والحضارة، وإنما يتطلب الكشف عن هذه القيم والمبادئ الإسلامية في مجال التنمية، انطلاقا من مصادر الشريعة الإسلامية في العرض والتحليل والتفسير، وفي إبراز المحتوى الاجتماعي للدين، والاستفادة منه في توجيه حركة المجتمع وجهته الصحيحة وتقدمه بأسرع السبل.

وفقا لهذه المعطيات ومن منطلق أن الدين الإسلامي إطار منظم لحياة الناس والنظم الاجتماعية كلها، ونظرا لقصور السياسات التنموية التي انتهجت إلى حد الآن في الجزائر، والتي أثبتت عدم فعاليتها في مواجهة المشكلات الحقيقية للتنمية، والمتمثلة في المتطلبات الضرورية لكل فرد في المجتمع في ظل مقاصد الشرع الإسلامي، لأنها ببساطة استوردت من مجتمعات تختلف عن المجتمع الجزائري في تطوره التاريخي ومنظومته الحضارية الإسلامية.

إزاء هذا الوضع وجب التخلي عن هذه السياسات الوضعية الغربية التي تستند إلى العقل البشري مستقلا عن أي توجيه سماوي، واعتماد منهج تنموي متكامل متصل بعقيدة وحضارة المجتمع الجزائري، وتنبثق عنه مظاهر التنمية والتطور الحضاري الذي يرقى بالإنسان روحيا وماديا، وتأخذ مداها الإنساني الشامل والكامل في المظهر والعمق، فالنظام التنموي الإسلامي يكفل تحقيق حياة متطورة بمفهومها الصحيح تلبي الرغبات وتوصل إلى الغايات.

ومن هذا المنطلق، تسعى الدراسة نحو استجلاء دور نسق القيم الإسلامية في بلوغ أهداف التنمية الاجتماعية الحقيقية، والمتمثلة أساسا في توفير التعليم والعمل والتربية الروحية، وتيسير الحياة الاجتماعية للمجتمع المسلم.

2.أهمية الدراسة وأسباب اختيارها:

تبرز أهمية هذه الدراسة من الأهمية البالغة للقيم الإسلامية في تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية، المتمثلة أساسا في تحقيق المطالب الضرورية لكل فرد في المجتمع الروحية والمادية، حسب الرؤية الإسلامية للتنمية، والتي عبر عنها الفقهاء المسلمين بالمتطلبات الضرورية في إطار مقاصد الشرع المتمثلة أساسا في الكليات الخمس.

3.أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

أ. إبراز دور القيم الإسلامية، التي تشكل قناعة دينية للمجتمع في تحقيق متطلباته الروحية والمادية.

ب. إبراز الأهداف الحقيقة للتنمية الاجتماعية التي يتوجب السعي نحو تحقيقها، من خلال السياسات التنموية في الجزائر، والمتمثلة أساسا في تحقيق المطالب الضرورية للحياة الاجتماعية لكل فرد في المجتمع، كما حددها الشرع الإسلامي.

ج.إبراز أهمية النظام الاجتماعي القائم على مبادئ وقيم الدين الإسلامي، في تنظيم الحياة الاجتماعية للمجتمع، وتوجيهها نحو الأهداف الحقيقية للتنمية.

4. فرض الدراسة :

وفقا للأهداف المتوخاة من محاولة الكشف عن دور القناعة الدينية بالقيم الإسلامية في تحقيق متطلبات التنمية الاجتماعية، تمت صياغة فرض رئيسي مفاده:

- تؤدي القيم الدينية إلى تحقيق تنمية اجتماعية.

5.مجالات الدراسة: من بين المتطلبات المنهجية في البحث العلمي تحديد مجالات الدراسة،وهي:

1.5.المجال المكاني: تعد ولاية باتنة إحدى ولايات الشمال الشرقي للجزائر، يجاورها كل من ولاية أم البواقي إلى الشمال ، ولاية خنشلة إلى الشرق ، وولاية بسكرة إلى الجنوب ، وولايـــة المسيلة إلى الغرب وولاية سطيف إلى الشمال الغربي.

تبعد ولاية باتنة عن الجزائر العاصمة بـــ: 439 كلم ، يربطها بباقي جهات الوطن الطريق الوطني رقم 03 قسنطينة وبسكرة الطريق الوطني رقم 75 سطيف ، والطريق الوطني رقم 28 المسيلة والطريـــق الوطني رقم 88 خنشلة.تتربع ولاية باتنة على مساحة تقدر بـــ:1201121

كلم ، وهي مقسمة إلى 21 دائرة تضـــم 61 بلدية ويبلغ إرتفاع باتنة على سطح البحر بـــ: 1050 م وأعلى قمة فيها (شيليا تبلغ 2328م (وتأتي بعدها قمة الشلعلع بـــ: 2321م.

2.5.**المجال البشري:** يبلغ عدد سكان ولاية باتنة : 990.141 نسمة ، وتقدر نسبة فئة الشباب التي تتراوح أعمارهم من 15 سنة إلى 30 سنة بـــ: 30% ، ويقدر عدد الميزابيين المقيمين بمدينة باتنة حسب شيخ الجماعة حوالي 500 شخص، الدكتور محمد بن قاسم ناصر بوحجام الذي يترأس مجلس الجماعة المشرفة عن الميزابيين المقيمين بمدينة باتنة[1].

3.5.**المجال الزمني:** نظرا للتفهم الكبير من قبل مجتمع البحث، استغرقت إجراءات ملء الاستمارات مع المبحوثين مدة أسبوع، ابتداء من تاريخ 2010/04/25 إلى غاية 2010/05/02، واستغرقت إجراءات تفريغ البيانات وتبويبها واستخلاص النتائج مدة أسبوعين، ابتداء من تاريخ 2010/05/03 إلى غاية 2010/05/17.

6.**العينة:** يتكون المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة من حوالي خمسمائة فرد حسب شيخ مجلس الجماعة التي تتولى شؤون المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة، ونظرا لطبيعة موضوع البحث، فقد تم اعتماد العينة العرضية، بنسبة 10% ما يعادل خمسون فردا من مجتمع البحث.

7.المنهج وأدوات جمع البيانات:

1.7. **المنهج:** بهدف التعرف على مقومات النظام الاجتماعي الذي يستند عليه المجتمع الميزابي في تنظيم وتسيير شؤونه، وبقصد تقديم نموذج تنموي مبني على القيم الإسلامية، لمعالجة مشكلة التنمية القائم في الجزائر، اعتمد البحث منهج المسح بالعينة لأنه أقرب المناهج لتناول مثل هذا الموضوع.

2.7.أدوات جمع البيانات:

1.2.7.**الاستمارة:** قسمت الاستمارة إلى ثلاثة وثلاثون سؤالا،خصصت منها سبعة أسئلة للبيانات الأولية، أما الأسئلة المتبقية فتناولت مؤشرات عن متغيري الدراسة، والمتمثلين في القيم الإسلامية والتنمية الاجتماعية، فالمتغير الأول المتمثل في القيم الدينية الإسلامية، تناول كل سؤال

---

1. الحاج سعيد يوسف، المرجع السابق، ص 10.

بيانات حول قيمة من القيم الإسلامية التي تناولها البحث في الجانب النظري، والمتمثلة في قيمة البر، وقيمة العفة، وقيمة الأخوة، وقيمة صلة الرحم، وقيمة الإيثار، أما الأسئلة الأخرى من الاستمارة فتناولت المتغير الثاني من الدراسة والمتمثل في التنمية الاجتماعية، من خلال مؤشراتها الواردة في الجانب النظري، والمتمثلة في بعض المطالب الضرورية من الكليات الخمس، كما جاءت معظم أسئلة الاستمارة في شكل أسئلة مغلقة ومباشرة، وقدمت عدة احتمالات عن كل سؤال.

الفصل الثاني: القيم

1. القيم في اللغة العربية
2. المقاربة النظرية في دراسة القيم
1.2. المنظور الفلسفي
2.2. المنظور النفسي
3.2. المنظور الاجتماعي
3. خصائص القيم
4. تصنيف القيم
5. الدين والقيم
6. مصطلحات مرتبطة بالقيم
7. المجتمع والقيم
8. النظام الاجتماعي والقيم
9. العقيدة والقيم

1. القيم في اللغة العربية :

القيم جمع لكلمة قيمة وهي مشتقة من الفعل الثلاثي قوم، وكما يقول علماء الصرف لفظ القيمة اسم هيئة من قام يقوم وأصله قومة بالواو، سكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت ياء لمناسبة الكسرة[1]، وهو يأتي على معان متعددة نذكر منها ما يتعلق بموضوع البحث:

يقول ابن منظور: والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وسمي الثمن قيمة لأنه يقوم مقام الشيء، وقومته عدلته، وتقوم الشيء: تعدل واستوى وتبينت قيمته، وقيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع ثمنه ومن الإنسان طوله، ويقال ماله قيمة إذا لم يدم على الشيء ولم يثبت، ولذا يعبر بالأقام عن الدوام[2]، نحو قوله تعالى "عذاب مقيم" (سورة الشورى، الآية45) وقوله "إن المتقين في مقام أمين" (سورة الدخان، الآية 51)، أي في مكان تدوم إقامتهم فيه، وعليه يرتبط بالدوام على الشيء الثبات عليه، حيث إن كل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه، قال تعالى "ليسو سوآء من أهل الكتاب أمة قآئمة يتلون آيات الله" (سورة آل عمران، الآية 113)، إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به، والقيم الاستقامة "دينا قيما" (الأنعام، الآية 161)، ومعناه دينا مستقيما لا عوج فيه، قال الراغب:" دينا قيما" أي ثابتا مقوما لأمور معاشهم ومعادهم، وفي قوله عز وجل:"وذلك دين القيمة"(البينة، الآية 5)، فقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: دين الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة، وقيل المراد دين الكتب القيمة، أما وصف الكتب بأنها قيمة كما قال الماوردي: كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها وثبت فيه صدقها، أو فروض الله المكنونة العادلة[3].

ولعل أقرب الاستعمالات اللغوية إلى القيم بمعناها السائد الآن هو ما ذكره صاحب القاموس من قولهم: فلان ماله قيمة: إذا لم يدم على شيء، وقول صاحب أساس البلاغة: القيمة ثبات الشيء ودوامه، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه الإنسان ويستمر في مراعاته[4]، وهو ما أكده كثير من الباحثين المهتمين بالقيم الإسلامية.

---

[1]. ناصر الدين الأسد ، "نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه "، دوريه أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة ، 2000)، ص51.

[2]. مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية (السعودية :دار العاصمة،1994)، ص 26.

[3].صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم،ط1 (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1998)، ص 76 .

[4]. صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق ، ص 78.

ونشير أن مصطلح القيم بالمعنى الذي يعنيه الآن ليس من المصطلحات التي كانت مستخدمة لدى العرب منذ القدم، وإنما دخل إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، فاستخدمه عدد من الباحثين والمفكرين مع اختلاف في تحديد مفهومه.

2. المقاربة النظرية في دراسة القيم :

لعل قيام الفلاسفة والعلماء بدراسة موضوع القيم يعكس الاهتمام الكبير بتحليل طبيعتها، ذلك لأنها تتصل بكل مجالات الحياة الاجتماعية والنفسية والعقلية للأفراد والجماعات، وأنها تلعب دورا بارزا في تحديد جوانب السلوك الإنساني وتوجيهه، ومن هذا المنطلق كانت دراسة القيم وما زالت محور خلاف أساسي بين الاتجاهات الفكرية، مما أدى بالقول بأنه في ميدان القيم نجد جذبا في النظريات المتناسقة، وخصبا في النظريات المتضاربة[1]، لذلك وانطلاقا من هذا التباين الجوهري، في تحديد مدلول القيمة ليس ثمة تصنيف موحد لمواقف الفلاسفة والعلماء من نظرية القيمة، الأمر الذي حظيت معه هذه المسألة باهتمامات متعددة قصد محاولة بحث طبيعة القيم وتفسير مدلولها، وذلك لارتباطها بجوانب متعددة أخلاقية وسيكولوجية وسوسيولوجية واقتصادية ودينية، فقد نجدها تتمثل إما في مدار تأملات الفيلسوف المثالي، وإما في مجال الدارس السيكولوجي للتكوين النفسي للفرد، أوفي إطار مشاهدات الباحث السوسيولوجي وافتراضاته، وفي هذا الصدد يقول ريمون رويه R.Rwye: "لعل المرء لا يعجب من تشتيت المؤلفات التي تبحث موضوع القيمة بحثا قاصدا، إذا فطن إلى أن نظرية القيم لم تنبثق عن جهد فيلسوف واحد وإنما تضافرت في صنعها طائفة من العقول الممتازة، التي عملت بصورة متفرقة مبعثرة[2]"، وقد تعددت وتضاربت الآراء حول تفسير طبيعة القيم ومصدرها، حيث نجد نظريات تفترض أن قيمة الشيء كامنة في ذاته، وتعبر عن طبيعته، وهي بذلك مستقلة عن ذات الإنسان، في حين تفسر بعض النظريات الأخرى، قيم الأشياء بأنها تقدير ذاتي يشتق من ذات الشخص المتفاعلة مع خبراته، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف والتعدد بين باحثي القيم فإنه يمكن التمييز بين الباحثين من حيث المنظور الذي يعتمده الواحد منهم في دراسة القيم وتحليل طبيعتها، لذا يجدر بنا في هذه الدراسة تيسيرا للفهم أن نميز بين ثلاثة منظورات رئيسية في تفسير طبيعة ومصدر القيم.

---

[1] .مساعد بن عبد الله المحيا، المرجع السابق، ص 29.

[2]. هلا محمد إبراهيم ،" القيم والعادات والتقاليد في العائلة اللبنانية "، مجلة دراسات عربية ،العدد 04 (بيروت ، فيقري 1986)، ص95.

1.2. المنظور الفلسفي:

إذا كانت الأشياء ما يعني الإنسان أمرها، وضع لها قيمة أو قدرها ومن البديهي أن الأشياء إن لم تكن معظمها لا تقوم إلا من حيث أنها وسيلة لغاية ما، ولكن بعض الأشياء قيمتها في ذاتها، لأنها غايات في نفسها لا وسائل لغيرها، وتسمى القيم من هذا النوع الأخير بالمثل العليا، وهي وحدها موضع بحث الفيلسوف، وقد جرى العرف باعتبارها ثلاثة :الجمال، الخير والحق[1]، وتعد القيم إحدى المباحث الأساسية للفلسفة[2]، والتي لازالت إلى حد كبير محل خلاف بين المدارس والمذاهب الفلسفية، حيث يقول جون ديوي " إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى قيما ليس في الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد في الطرف المقابل بأن المعايير القبلية العقلية ضرورية، ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق[3]".

والقيم في المنظور الفلسفي تنقسم إلى ثلاثة أقسام تنضوي تحتها شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في حياته وهي الحق والخير والجمال ، وفي مقابل ذلك تأتي هذه الأوجه الثلاثة التي تحلل من خلالها حياة الإنسان الواعية وهي : الإدراك والسلوك والوجدان، فالإدراك يفترض أن يكون إدراكا صحيحا حتى يكون السلوك سليما وهنا تبدوا قيمة الحق، فالإنسان بفطرته ينشد الحق، أما السلوك فيقيس الإنسان صوابه بمقياس الخير الذي هو قيمة عنده ليس له عنها غنى حتى وهو يقترف الآثام ويفعل الشر، هاتان قيمتان تمليهما عليه فطرته، أما القيمة الثالثة فهي حلقة وسطى تقع بين الإدراك من ناحية وبين السلوك من ناحية أخرى وهو ما يطلقون عليه الحالة الوجدانية، وهي رغبة الإنسان أن يحس هذه الحالة بما يشبع فيه الطمأنينة والرضا، وعلى أساس هذه القيمة يختار ثيابه، ومسكنه، وأثاثه ومركوبه...الخ[4].

والدارس لإسهامات أصحاب المنظور الفلسفي في تحليلهم للقيم يلاحظ انقسامهم إلى قسمان، ما إذا كانت قيم الأشياء تحدد بمعزل عن خبرة الناس بها في الحياة الواقعية، أم أن قيمة الأشياء في حياة الناس تشتق من خبراتهم بها، وهذان القسمان هما: اتجاه الفلسفة المثالية أو العقلية

---

[1]. ناصر الدين الأسد ، المرجع السابق، ص52.

[2]. عمر محمد التومي الشيباني ، مقدمة في الفلسفة الإسلامية ، ط2(ليبيا : الدار العربية للكتاب، 1395)، ص 30.

[3]. مساعد بن عبد الله المحيا ، المرجع السابق ، ص31.

[4]. مساعد بن عبد الله المحيا، المرجع السابق ، ص 32.

واتجاه الفلسفة الطبيعية، أما اتجاه الفلسفة العقلية فهي تقول باستقلال القيم وانعزالها عـن الخـبرة الإنسانية، ففلسفة أفلاطون على سبيل المثال تجعل مصدر القيم الإنسانية خارجا عن الحياة والخبرة الواقعية للإنسان وأن مصدرها عالم المثل وهو عالم ثابت ومطلق، وكذلك كانط فيرى أن مصدر كل من الحق والجمال والأخلاق هو العقل، ذلك لأنه هو الذي يعطي للخبرات الحسية شـكلها الخاص الذي ندركه، حيث إن التركيب الداخلي للعقل يحتوي على مفاهيم هي مقولات الفكـر وهي موجودة في العقل وجودا مستقلا عن الخبرة وسابقة لها، ولا شك أن تقديس المثاليين للعقل باعتباره في نظرهم المصدر الوحيد للقيم، جعلهم يضعون قانونا صوريا مقطوع الصـلة بـالواقع والخبرة الحسية، ويتصف بالثبات والمطلقية، ولا تستفى التجربة في أمره، كما أن نظـرتهم هـذه للإنسان من حيث وضع مبادئ عامة لسلوكه الإنساني أمر يفنده الواقع، ذلك أن طبائع الأفـراد تختلف باختلاف ظروفهم في كل زمان ومكان، وأن أحكامهم القيمية تتبـاين بتبـاين الوسـط الاجتماعي والثقافي، ولذلك تكون طبيعة القيم من حيث عموميتها كـما يـراها بيرتراند راسل ذاته مـن حيث هي صادرة عن الـذات الموضوعية من حيث هي ملتقى الناس جميعا.

كما نجد مغالاة أيضا لدى أصحاب النزعة الوجودية، في نظرتهم نحو تحديد مصدر وطبيعة القيم، فيعتبرون أن القيم التي نتمسك بها أو نتطلع إليها هي نتاج عادات فكرية يكونها الإنسـان حول الموضوعات أو الأشياء، ومن هذه الزاوية يلتقي مفهوم القيم مع مفهوم الخبرة الإنسانية لأن الخبرة الإنسانية تجمع الجوانب المعرفية والخلقية والجمالية، مما يعني أن مجال القـيم لـدى هـؤلاء الفلاسفة يشمل كافة جوانب النشاط الإنساني، فالقيم إذن ليست مستقلة عن الموضوعات الـتي ترتبط بها مفاهيم الناس، أي أن هذه الموضوعات يمكن الحكم عليها في ضوء معايير تتضمن الحـق والخير والجمال، فالحق هو الجانب المعرفي والخير وهو الجانب الخلقي والجمـال وهـو الجانـب التذوقي.

إن أصحاب المنظور الفلسفي بما ينطوي عليه من نظريات قد أبرزوا دور القـيم كأحـد المحددات الرئيسية في توجيه السلوك الإنساني، غير أنه يبدو من الصعوبة بمكان دراسة القيم اعتمادا على هذا المنظور، لكون القيم لا تنشأ في فراغ بل هي جزء لا يتجزأ من الخبرة الإنسانية الواقعيـة ومع ذلك فقد كان لتلك الإسهامات إثراء للتراث العلمي معرفيا ومنهجيا، وبلورة لبعض جوانب موضوع القيم.

2.2. المنظور النفسي:

يرى ماكس فيبر أن القيم:"هي مجموعة من التصديقات السيكولوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني، والممارسة الدينية التي تعطي توجيها للسلوك العملي الذي يلتزم به الفـــرد[1]"، كما تعرف على أنها: " تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني التي توجـــه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها، والقيمة مفهوم مجرد ضمني، غالبـــــا ما يعبر عن الفضـــل أو الامتيـــاز ودرجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني[2]"، أو بأنها: "حالات إدراكية واقعيـــة توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية أو الجماعية، وأهم ما يميزها هو اتصالها بثقافـــة المجتمع وحضارته مباشرة[3]".

حاول هذا المنظور أن يقدم إسهامات نظرية وامبريقية معتبرة في مجال معالجة القيم، ومـــن ثم بلورة بعض جوانب طبيعتها، من خلال محاولة الكشف عن حقيقة مهمة مفادهـــا: أن القـــيم تلعب دورا بارزا في تكوين شخصية الفرد والتأثير في اتجاهاته المختلفة، وذلك بالنظر إليها كمحدد من محددات السلوك الإنساني، ووفقا لهذا المنظور السيكولوجي فإن التقويم عملية نفسية باطنيـــة تخلع القيم عن الأفعال والأشياء الخارجية بمقتضى الرغبة والاهتمام، التي تعد مصدرا لقيمة الأشياء والموضوعات، غير أن هذا المنظور أدى بأصحابه إلى الوقوع في الحتمية السيكولوجية، تلك الحتمية التي تسوق الفرد بحسب ما يضطرب به باطنه من رغبة موقوتة يندفع إلى إشباعها، وهنـــا تنتفـــي خاصية الالتزام، فلا معيار إلا بما يبعث عليه وجدان اللذة والألم[4]، الأمر الذي يؤول بالمثل العليـــا إلى الاحتجاب بفعل تذبذب الرغبات والميول، وبالتالي فقدان مقياس أحكام القيمة، ولذلك نقول أن الإنسان ليس عقلا خالصا كما يصوره المثاليون ولا حسا محضا كما يـــراه الســـيكولوجيين، ولكن وحدة عقلية وحسية من حيث أنه يتميز عن باقي الحيوانـــات بالتفكير والإرادة، ولا يكتفي بما تمليه عليه رغباته فقط، فعندما يواجه موقفا ما فإنه يلجأ أيضا إلى الاحتكام العقلي، مسترشدا بالقيم والمعايير التي تدين لها الجماعة بالولاء، والتي ينتمي إليها فيختار من بين البدائل مـــا يـــراه مرغوبا فيه ويتحاشى ما هو مرغوب عنه.

---

[1]. نورهان منير مرسي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية (الأزاريطية : المكتب الجامعي الحديث، 1999)، ص196.

[2]. أحمد مصطفى خاطر ، تنمية المجتمعات المحلية: نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع (الازاريطية: المكتب الجامعي الحديث، 1999)،ص188.

[3]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، "المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية"، سلسلة إسلامية المعرفة: التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية: المنـــهج والمجالات، ط1 (القاهرة: مكتبة المعهد، 1996)، ص76.

[4]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتورة (جامعة قسنطينة ، 1997)، ص 223.

3.2. المنظور الاجتماعي:

مفهوم القيمة من خلال هذا المنظور هو ذلك الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك، والقيمة تتضمن قانونا أو مقياسا له نوع من الثبات على مر الزمن في المجتمع، أو بعبارة أعم تتضمن دستورا ينظم نسق الأفعال والسلوك، فالقيمة –حسب كلاكون- مفهوم تجريدي للمرغوب فيه الذي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهـــداف السلوك[1]، وبالتالي تشتمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصـــبحت ذات معـــنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، إنها باختصار شديد الإطار المرجعي للسلوك الفردي والجمـــاعي[2]، كما ينظر إلى القيم كذلك على أنها معتقدات تحدد كيف يجب أن نتصرف وأهمية أهدافنا[3].

ويرى علماء الاجتماع الغربيين أن القيم من صنع المجتمع، وأنها تعبيرا عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع، وتعتبر عنصرا مشتركا في تركيب البناء الاجتماعي، ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أن يحللها ويفسرها ويقارن بين الجماعات المختلفة وتـــأثير القـــيم في السلوك[4]، لذلك فقد طرحت قضية سوسيولوجية القيم كأحد المحاور الرئيسية التي انشغل بدراستها العديد من الباحثين السوسيولوجيين، بحيث تجسد ذلك في كتابات الكثيرين منهم، وبالرغم مـــن وحدة المنظور لدى هؤلاء الباحثين في معالجتهم للقيم إلا أنهم يختلفون في تفسير طبيعتها وأسباب تغيــــرها، لذلك ظهرت على مسرح الفكر الاجتماعي اتجاهات فرعية تنطوي تحت لواء المنظور الاجتماعي محاولة تفسير طبيعة القيم ومصدرها.

ولو حللنا مدارس علم الاجتماع المختلفة لوجدنا ظهور مفهوم القيمة ضمنا أو صراحة في كافة المدارس بداية من المدرسة الفرنسية وخاصة عند ايميل دوركايم، الذي حدد مكونات الظاهرة الاجتماعية بأنها "نظم اجتماعية لها صفة الضغط والإلزام كما أنها تتكون من الرموز الاجتماعيـــة

---

[1]. فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية (بيروت: دار النهضة العربية ، 1980)، ص52.

[2]. عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية: مدخل إسلامي (الأزاريطية: المكتب الجامعي الحديث ، 1999)، ص196.

[3]. cooper-t-the responsible administor an approach to Eunice for the administrative role, London : national univ. public-1982 p5-

[4]. محمد سعيد فرح ، البناء الاجتماعي والشخصية (الإسكندرية: المطبعة المصرية للكتاب، 1980)، ص ص 380، 381.

والقيم والأفكار والمثل وتأكيده على مفهوم الضمير الجمعي في تحديد الضبط داخل المجتمع[1]"، أما المدرسة الإنجليزية على رأسها هربرت سبنسر، وما طرأ على النظرية العضوية من تغيرات أدت إلى ظهور نظرية التطور التي تؤمن في أساسها بتعديل نسق التوقعات بين الوحدات، ولو تناولنا هـذا المفهوم بالتحليل لوجدنا أن ضمن التوقعات لابد وأن تكون القيم السائدة في المجتمع هـي مـن الاعتبارات الأساسية في تحديد هذه التوقعات[2]، أما المدرسة الألمانية وعلى رأسها ماكس فيبر، كان لها اهتمام بتأثير القيم وتدخلها في تحديد مسار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسـية، أمـا المدرسة الأمريكية ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر كل من سوروكين وتـالكوت بارسـونز، فسوف نجد أن الأول منهم حاول الوصول إلى تعميمات عن التغير الاجتماعي والثقافي من خلال تاريخ الإنسانية كمؤشر محدد للقيم ويعبر عن التفاعل على أساس أنه ظاهرة اجتماعيـة ثقافيـة تتكون من ثلاثة عناصر:

- الشخصية كفاعل
- المجتمع باعتباره المجموع الكلي للمتفاعلين.
- الثقافة وهي المجموع الكلي للمعاني والقيم والمعايير الناشئة عن الشخصيات المتفاعلة.

وبالتالي نبحث عن القيم من خلال تتبع الأشكال الثقافية، أما تالكوت بارسونز فنجد في نظريتـه عن الفعل الاجتماعي تأكيده على أن الموجهات الدافعية أو القيمية هي إحدى أركـان الفعـل الاجتماعي، ومن ثم تحقيق قيم في أدوار ومواقف، وهو ما يتضمنه الإطار المرجعي للفعل[3].

يكشف العرض التحليلي لإسهامات المنظور الاجتماعي في تفسيره للقيم وتحديد أبعادهـا أنه ينطوي على مجموعة من الاتجاهات المتباينة من حيث طريقة التحليل، والمتفقـة مـن حيـث تأكيدها على الإطار الاجتماعي الذي يحدد القيم، أي أن الفرد يستمد قيمه من نظـم مجتمعـه وعاداته وتقاليده، أي من ثقافته، فالقيم ليست إلا تعبيرا عن رغبات الأفراد في إرضاء المجتمع الذي ينتمون إليه، غير أنه يلاحظ في هذا التصور نوع من المبالغة في تجسيد شخصـية المجتمـع حـتى توارت إلى جانبها شخصية الأفراد، وبذلك فقد الفرد حريته وفعاليته، ولكن الواقع أحيانا يشـهد بأن مواصفات المجتمع كثيرا ما تكون بالية مما يدفع الأفراد إلى القيام بثورة على العرف الهزيـل،

---

[1]. أحمد مصطفى خاطر، الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي: رؤية نظرية وواقعية (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1990)، ص ص111،112.

[2]. أحمد مصطفى خاطر، المرجع السابق ،ص ص 112،115.

والتحرر من القيم المتخلفة للمجتمع تطلعا إلى تغييرها بقيم سليمة جديدة تصدر عن الفرد، ومع ذلك لا ينبغي أن تنظر إلى الفرد والمجتمع نظرة استقلالية كما لو كان كل منهما منعزلا عن الآخر، ذلك أن الحياة الأخلاقية هي حياة اجتماعية.

إن أصحاب المنظور الاجتماعي إذن مضطرون إلى دراسة القيم كما تبدو في مجتمع بشري يرتبط بمكان معين وزمان محدد، ويخضع لظروف بعينها، وبالتالي فإن القيم تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، وأن أحكام القيمة تقبل الحكم عليها بالصدق والكذب على أساس من الأدلة التجريبية[1]. وبالتالي حاول الكثير من علماء الاجتماع الإعراب عن الأصول الاجتماعية والثقافية للقيم مضيفين إليها عنصر طالما تجاهله الفلاسفة وبعض أصحاب المنظور السيكولوجي الذين وقفوا عند حدود المصادر الفردية وحدها، يتمثل في أهمية المجتمع وبنيته في نشأة القيم وتأثيرها على السلوك.

لقد كان لمختلف المنظورات السابقة العرض، منطلق مشترك مفاده أن الإنسان كائن اجتماعي وأخلاقي، أي لابد له أن يعيش مع غيره من الأفراد ويتفاعل معهم في مجتمع منظم، ذلك أنه يتميز دون سائر الكائنات الحية بالتأمل العقلي وحرية الاختيار، إذ ينفرد بالتبصر والإدراك، مما يجعله ينزع بإرادته إلى الاستعلاء فوق حيوانيته والتطلع بعقله إلى مستقبل أفضل، فهو ينشد مثلا عليا يدين لها بالولاء ويعمل على التحكم في أهواءه ونوازعه في ظل قيم عليا توجه سلوكه وتحكم علاقته الاجتماعية بغيره من الأفراد.

ولما كانت قدرات الإنسان قاصرة ومحدودة، وأن الأشياء لا تقوم بذاتها ولا تخلق نفسها بل الله خالقها ومقومها، فهو الذي يعطي قيمة الأشياء والأفعال، فإن مصدر القيم يرد إلى قوة خارجة عن الإنسان والمجتمع، فالقيم تعلو فوق الإنسان وقدراته.

إن القيم لابد أن تكون عامة وثابتة، مطلقة وكلية، بحيث تنطبق على جميع الناس دون استثناء، ولا تخضع لإرادتهم وأهواءهم الفردية والجماعية على السواء، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا سلمنا بأن مصدر القيم يعود إلى الله سبحانه وتعالى، يقول جاك ماريتان: "إن أي مجتمع بشري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه وإلا فإنه سيكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت[2]"، فالله الصادق

---

[1]. صلاح قنصوة ، نظرية القيمة في الفكر المعاصر (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981)، ص ص 65،66.

[1]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص226.

كما يقول ديكارت هو الذي يمنح للحقيقة معناها، ويجعل البحث عنها مشروعا فإننا على الرغم مما نتكبده فيه من متاعب، لأنه مشروع يقربنا منه ويغنينا ويثري وجودنا، ولهذا فإننا إدا أنكرنا وجوده وتملكنا اليأس صار يظهر لنا أن التوهم يسود ميادين الحياة كلها[1]"، ويشير الربيع ميموني في دراسة لنظرية القيم حيث يقول:"ويظهر لنا أيضا أن اعتبار القيمة مطلقة نسبية يبعد عنها النسبية الخالصة والتي تجعلها تبعة لغيرها ولا سلطان لها، كما يبعد عنها المطلقية المطلقة التي لا يمكن أن تكون صفة لها، ويضعها في مكانها الصحيح الذي يسمح لنا بتقديرها حق قدرها، ويجعل منها دليلا لنا نهتدي على بينة من الأمر ومرقاة إلى من بيده الأمر كله[2]".

ووفق هذه الآراء فإن التسليم بأن الله هو مصدر القيم يعني:

أ. أن تتميز هذه القيم بالقداسة والهيبة، مما يجعل احترام هذه القيم أمرا نابعا من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية ونية صادقة لكسب رضاه.

ب. أن يصبح الالتزام الأخلاقي وللمسؤولية معنى.

ج. أن يتوفر للقيم سند حقيقي.

د. الإبقاء على حرية الإنسان وإرادته في اختيار القيم التي يرتضيها.

ه. توفر شروط الاستقرار والثبات في المجتمع.

و. بقاء ذلك الحافز متجدد على العمل والاستقامة في ذات الوقت.

ي. توفر الميزان الثابت والعادل للحكم على الأشياء والأفعال.

3. خصائص القيم :

حاولت الباحثة فوزية دياب في مؤلفها تحت عنوان القيم والعادات الاجتماعية إبراز خصائص القيم من التعريف الوارد في قاموس علم الاجتماع والعلوم المرتبطة به، معتبرة أنه يجمع كثيرا من خصائصها، الذي يعرف القيم على أنها: "الاعتقاد بأن شيئا ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية، وهي صفة الشيء الذي ذا أهمية لفرد أو جماعة[3]"، وتعتبر أن القيمة: "على وجه التحديد حقيقية سيكولوجية وليست قابلة للقياس بأي وسيلة من وسائل القياس التي توصل إليها العلماء حتى الآن، ولابد من تمييز القيمة تمييزا دقيقا عن المنفعة لأن حقيقتها تكمن في العقل البشري، لا في

[1]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 226.

[2]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 226.

[3]. فوزية دياب، المرجع السابق ، ص 108.

الشيء الخارجي نفسه، والقيمة بالتحديد مسألة اعتقاد فالشيء ذو المنفعة الزائفة تكون له القيمة نفسها كما لو كان حقيقيا إلى أن يكتشف هذا الخداع[1]"، ومن أولى خصائص القيم الواردة للتعريف السابق عنصر الاعتقاد الذي تتوقف عليه القيم، فالأشياء ليست في ذاتها خيرة أو شريرة، صحيحة أو خاطئة، قبيحة أو جميلة، وإنما هذه الأحكام التي نصدرها عليها وننسبها إليها منبثقة من واقع اهتمامنا بها واعتقادنا فيها، والقيم مسألة شخصية لأنها تنبع من الشخص ومن رغباته لا من الأشياء الخارجية، وأنها ليست شيء مجردا مستقلا في ذاته عن سلوك الشخص بل هي متغلغلة فيه، فلابد إذن أن تكون نسبية، بمعنى أنها تختلف عند الشخص بالنسبة لحاجته ورغباته وتربيته وظروفه ومن شخص إلى شخص ومن ثقافة إلى ثقافة، ولما كانت القيم تقتضي الاختيار الذي يقوم على التفضيل كان لابد من وجود سلم للقيم الذي ينتج عنه وضع الأشياء في مراتب ودرجات حيث أن هذه المراتب لا تتصف بالثبات، وإنما تتغير تبعا لظروف الفرد وأحواله ورغباته واهتماماته، غير أن الإشكال المطروح حول العرض السابق لخصائص القيم أنها لم تحدد حقيقة هذا الاعتقاد صحيح أو فاسد لأنه ليست لكل العقائد القدرة نفسها على تحقيق النجاحات المطلوبة في إسعاد المجتمعات التي تتبناها[2]، والقيم لا يمكن أن تكون نسبية بل هي عامة وثابتة ومطلقة وكلية، لأن مصدرها يعلوا فوق الإنسان وقدراته، والله هو الذي يعطي قيمة الأشياء والأفعال[3]، ولا شك أن هذه الخصائص الأخيرة تنطبق فقط على القيم الإسلامية، أما بالنسبة لقياس القيم فقد لقيت هذه المسألة اعتراضات شديدة من بعض الباحثين الاجتماعيين أمثال أوجبرن ونيمكوف اللذان يؤكدان على استحالة قياس القيم باعتبارها مسألة شخصية تتصل بالذات العميقة للإنسان، وأن أي محاولة لقياس القيم سوف يؤدي إلى تشويه طبيعتها[4]، ولا يمكن أبدا أن تعطي أي نتيجة في حال تطبيق الأساليب الإحصائية عليها، ولما كان العلم يرفض مثل هذه الصور التقريرية النهائية، فلقد ظهرت عدة محاولات في هذا الصدد منها محاولة كلاكهون والمتمثلة في تحديد مجموعة أساسية من المشكلات الإنسانية العامة التي تحاول كافة المجتمعات حلها، واتخاذ موقف قيمي إزاءها، مثل علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع والزمن.

---

[1]. فوزية دياب، المرجع السابق ، ص26.

[2]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 246.

[3]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 225.

[4]. محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1980)، ص122.

4. تصنيف القيم :

لاشك أن البحث في موضوع القيم يثير أهمية تصنيفها رغـــم التعقيـــدات المتضـــمنة في مفهومها، ولقد انعكس الاختلاف القائم في تحديد مفهوم القيم وتفسير طبيعتـــها علـــى محاولـــة توضيح مختلف أنماط القيم، وفي هـــذا المعنى يقول سورلي Surly:"من المستحيل أن تكون هناك قاعدة يمكن على أساسها تحديد كل أنوع القيم[1]"، ورغم ذلك فلقد اهتم الكثير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية بهذه المسألة وقد أصبح تراث هذه العلوم يتوفر على قـــدر من المحـــاولات في مجال تصنيف القيم، وإن هذا التنوع في يعود بالدرجة الأولى إلى الاختلاف في وجهـــات النظـــر والتباين في المداخل الفكرية التي تحاول تحليل موضوع القيم، ومهما يكن من أمر فإننا في هـــذه الدراسة سنلقي الضوء على بعض نماذج تصنيف القيم المختلفة فيما يلي:

فهناك من العلماء من قدم تصنيفا للقيم مســـتندا إلى خصائصـــها كتصـــنيف جـــوليتلي Golightliy الذي ميز بين القيم الأساسية والقيم الفرعية، وتصنيف كيرت لوريس حين صـــنف القيم إلى جوهرية وطارئة، أما كلاكهون فقدم تصنيف يشير إلى وجود قيم عامة في المجتمع ككل وقيم خاصة بجماعات اجتماعية معينة، وهذا التصنيف يستند إلى معيار درجة انتشـــار القـــيم في المجتمع، كما تم تصنيف القيم إلى اتجاهها المرتبط بالنمط البنائي للمجتمع كما فعل روبرت ردفيلد عندما ميز القيم على أساس نوع المجتمع الشعبي القديم الذي تسوده القيم التقليدية المحافظة والمجتمع الحضري الذي تسوده القيم العقلية العلمانية، كما يوجد هناك من العلماء من صنف القيم بنـــاء على وظائفها الاجتماعية أي ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معين، كما فعل اميل دوركايم وغيره من أنصار الاتجاه البنائي الوظيفي في علم الاجتماع[2]، كما حدد المهتمون بدراسة القـــيم أيضـــا مجموعة من الأبعاد يمكن أن يتم في ضوئها تقديم تصنيفات معينة لها، كما هو الشأن عند سبرينجر في كتابه أنماط الرجال، حيث تكلم عن أنماط ستة من القيم هي[3]: القيم الدينية، القيم النظريـــة، القيم الاقتصادية، القيم الجمالية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية:

---

[1]. فوزية دياب، المرجع السابق، ص73.

[2]. عبد الباسط محمد عبد المعطي، غريب سيد أحمد ، البحث الاجتماعي: المنهج والقياس (الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1974)، ص ص 177،175 .

[3]. فوزية دياب، المرجع السابق ، ص74.

- **القيم النظرية** : وتتمثل في اهتمام الفرد وميله للكشف عن الحقائق متخذا في ذلك اتجاها معرفيا في العالم المحيط به، حيث يوازن بين الأشياء على أساس ماهيتها، كما أنه يسعى وراء القوانين التي تحكم هذه الأشياء بعيدا عن قيمتها العملية أو إلى الصورة الجمالية لها .
- **القيم الدينية** : وتتمثل في توجيه الفرد اهتمامه وميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهري، حيث يعتقد أن هناك قوة تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، وهو يحاول ربط نفسه بهذه القيمة .
- **القيم الاقتصادية** : وتتمثل في ميل الفرد واهتمامه إلى ما هو نافع، ويتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة عن طريق الإنتاج واستثمار الأموال واستهلاك البضائع.
- **القيم الاجتماعية** : يقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس وبالتالي التفاعل مع محيطه الاجتماعي، لذلك يتوجه اهتمام الأفراد نحو خدمة غيره ومساعدتهم، ومن ثم النظر إليهم على أساس أنهم غايات وليسوا وسائل لغايات أخرى.
- **القيم السياسية**: وتتمثل في اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة، ومن ثم فإن الفرد يهدف إلى السيطرة والتحكم في الأشخاص أو الأشياء وتوجيه مصائر غيره من الناس.
- **القيم الجمالية** : وهي تلك القيم التي تتمثل بما هو جميل من ناحية الشكل، وكذلك ينظر الفرد إلى العالم المحيط به نظرة تقدير من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي .

إن هذا التصنيف الذي أورده سبرانجر للقيم لا يعني أن أفراد المجتمع يتوزعون تبعا لهذه الأنواع الستة من القيم توزيعا مفردا بل توجد مجتمعة في كل فرد، غير أنها تتباين في تدرجها من فرد إلى آخر بحسب قوتها ووضعها داخل نفسية الفرد والمحيط الذي يعيش فيه بل ينبغي الإشارة إلى أن هذه القيم تعد مبادئ أساسية في نظره، والتي يمكن أن توجه مجرى الفعل وتغيره بالنسبة للأفراد والمجتمعات، وهذه الأنواع من القيم تتحكم في علاقات الأفراد وتحدد ممارساتهم في مختلف الأنشطة وميادين الحياة، ، غير أنه لم يحدد العلاقة بين هذه القيم من حيث الشمول والتأثير خاصة بين هذه الأصناف الخمسة التي أوردها للقيم والقيم الدينية، كما أن هذا التصور للقيم الدينية على أنها ترتبط فقط بمحاولة معرفة ماوراء العالم الظاهري وأنها منفصلة عن الحياة الواقعية للإنسان هو نوع من القصور لتصور الحياة الدينية، فلا يمكن تصور وجود قيم دينية لدى الفرد أو المجتمع منفصلة عن القيم الأخرى، فالقيم الدينية في التصور الإسلامي تنبع من تصوره للكون والحياة

والإنسان، وهي من العقيدة وترتبط بها ولا يمكن تصورها منفصلة ومفردة أو مجردة إنما هي قيم متكاملة، ولا يمكن الإيمان بإحداها دون الإيمان بمجموعها.

إن عرض هذه النماذج التصنيفية للقيم له أهميته من جانب الاستفادة من محاولة بلورة بعض جوانب موضوع القيم، لأن الهدف من القيم كقناعة دينية هو تحقيق غاية الوجود الإنساني، وميزان أهمية القيم لدى الفرد أو المجتمع هو مدى أداء كل إنسان لوظيفته في الأرض والقيام بدوره في الحياة، وهو ما من شأنه أن يساهم في تحديد طبيعتها وخصائصها ودورها في حياة المجتمعات، هذا النموذج التصوري للقيم سيوجه محاولة الإحاطة بمضمون القيم ودورها في الحياة الاجتماعية التي هي في الحقيقة حياة دينية، على اعتبار أن القيم تسند على مجموعة من القضايا المرتبطة أساسا بأهداف الدراسة منها :

- الإيمان بالقيم الإسلامية، أمر نابع من ذات الإنسان عن طاعة اختيارية ونية صادقة كونها قيما مقدسة مستمدة من الدين.

- المجتمع هو الذي يغرس القيم في الأفراد، ويوفر لهم منظومة قيمية، عبر مؤسساته الاجتماعية المختلفة، للاحتفاظ بخصائصه الإسلامية، بحيث يشكل وحدة مترابطة متكاملة، وبهذه الصورة توفر القيم شروط الاستقرار والنمو للمجتمع.

5. الدين والقيم:

من الأمور المقررة أنه ما من مجتمع يخلو من دين، ولم يكن الدين أبدا منفصلا عن الحياة الاجتماعية، ففي كل الديانات سواء كانت من قبيل الوحي الإلهي أو من وضع البشر نجد اختراق ديني للنظم الاجتماعية، يؤثر في القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والآداب، مع تفاوت في الشمول والعمق، ويبقى الدين حتى في صورته البشرية الأسطورية مطلبا فطريا وضرورة اجتماعية، لأنه يلبي حاجة الإنسان الفطرية للاعتقاد، ولأنه كذلك يمثل أكبر عامل ضبط اجتماعي يضمن تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والإسلام وحده من بين كل الديانات التي عرفتها البشرية يملك من بين ما يملك من الخصائص والمميزات خاصية التوحيد الخالص، التي تجعل منه الدين الحق المناسب للفطرة البشرية، ولما جاء الإسلام يحتوي العقيدة والشريعة والعبادة دون فصل بينها، فهو بذلك يمثل منهاجا كاملا متكاملا للحياة، وقد أقام في الوقت ذاته منظومة أخلاقية وقيمية تستجيب لمطالب الفطرة البشرية، فالأخلاق الإسلامية ترتفع بالإنسان إلى مستوى التكريم الإلهي،

وتعمل على تناسق مصالح الفرد وتكاملها مع مصالح المجتمع وهيئاته ومؤسساته، بهدف تحقيق الأمن والسعادة للفرد والمجتمع على السواء، والقيم الإسلامية تجعل منه إنسانا كاملا الذي تصير حياته روحانية موقوفة على خدمة المطلق والجهاد في سبيله[1] .

بالتالي فإن ارتباط القيم بالدين ليس رغبة ذاتية أو أملا فلسفيا، إنما هو حقيقة واقعية[2]، فالدين هو مصدر القيم[3]، وإذا أخذنا الدين الإسلامي كمثال توضيحي عن العلاقة بين الدين والقيم فإنه يمكننا القول بأنه في النظام الإسلامي تؤدي القيم الإسلامية دورا كبيرا على النظم الاجتماعية، فالنظم الأخلاقية يجب أن تؤسس على القيم الإسلامية، والنظام الحربي له جزاء ديني ويعتبر واجبا دينيا، والنظم التعليمية يجب أن تعكس القيم الإسلامية، والنظام الأسري محكوم بالقيم الإسلامية، وبناءا على ذلك فإن كل أنشطة الإنسان المسلم سواء على مستوى الشخصي أو الاجتماعي من المتوقع أن تعكس القيم الإسلامية، ففي الإسلام نسق قيمي موحد يحكم كل جوانب الحياة الاجتماعية، وأن هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعي، فالمجتمع الإسلامي يجب أن يعكس القيم الإسلامية وتوجيه المجتمع الإسلامي نحو هذا الاتجاه هي مسؤولية كل مسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6. مصطلحات مرتبطة بالقيم :

أ. الأخلاق:

الإنسان كائن أخلاقي بفطرته، فأعماله تحمل قيمة أخلاقية، مهما كانت هذه القيمة الأخلاقية، يقول الغزالي:"فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كانت الصادرة عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيئا[4]"، وبالتالي يمكننا تحديد القيمة الخلقية بأنها وزن خلق معين بمقياس أخلاقي معين، وإن اختلفت المقاييس الأخلاقية إلا أن جميعها يدور في حقلي الخير والمنفعة، أو الشر والضرر، ومقدار هذا النفع أو الضرر هو القيمة الفعلية للخلق المقوم، والقيم الأخلاقية نوعان، قيم خلقية ايجابية أو

---

[1] .مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص ص232 ، 233.

[2]. مراد زعمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص227.

[3]. محمد أحمد بيومي ، علم اجتماع القيم (مصر: دار المعرفة الجامعية، 2002)، ص182.

[4]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 216.

عليا، وقيم خلقية سلبية أو سفلى لأنها تقوم الخلق المتضمن هاتين الناحيتين، فـــالقيم الأخلاقيـــة تختلف عما سواها من القيم، لأنها ترتبط بالشخص الذي يحملها، في حين ترتبط القيم المادية مثلا بالأشياء وصفاتها، وبالتالي فالشخص هو وحده من يقدر أن يسلك سلوكا أخلاقيا عندما يريـــد ويعمل ويستهدف غايات، وينوي ويحقق ويشعر بالقيم الأخلاقية، ولهذا فـــالأخلاق الإســـلامية ترتفع بالإنسان إلى مستوى التكريم الإلهي، وتعمل على تناسق مصالح الفرد وتكاملها مع مصالح المجتمع وهيئاته ومؤسساته، بهدف تحقيق الأمن والسعادة للفرد والمجتمع على السواء.

ب. المثل:

تختلف القيم الأخلاقية عن المثل، فالمثل هي ما يحتذيه الفرد من السلوك والمبادئ والقواعـــد المنظمة للأفعال الإنسانية، بحدودها العليا سواء أكان مطبوعا مجبولا عليها أم مكتسبا لها من الحياة الاجتماعية، وهي "القدوة من الأفعال الإنسانية التي يعتز بها[1]"، فالقيم الأخلاقية بـــذلك أكثـــر عموما من المثل وبينهما عموم وخصوص فكل مثل قيمة أخلاقية وليست كل قيمة أخلاقية مثلا، فالكرم يعد قيمة أخلاقية ومثالا لكن نقيضه البخل لا يمكن عده من المثل وإنما يندرج تحت القيم الأخلاقية، وعليه فإن المثل لا تمثل إلا جانبا واحدا من السلوك الإنساني، وهو السلوك الايجـــابي فحسب.

7. المجتمـــع والقيـــــم:

إن المجتمع هو الذي يعمل على انتقاء وغرس القيم في الأفراد وذلك من خلال مؤسســـات التنشئة الاجتماعية المختلفة، ذلك أن القيم من خصائص النوع البشري ولها علاقة وطيدة بحيـــاة الأفراد والجماعات، والناس يتمسكون بالقيم لأنها تعطي لوجودهم الإنساني معانيه التي تميزه عن وجود الكائنات الأخرى، " فالإنسان مهما كان مستواه لا يستطيع أن يعيش بدون قيم ويتـــرك البحث عما هو أسمى في نظره من القيم الحاصلة له لأن القيمة في النهاية هي كل شيء بالنســـبة له[2]"، ولذلك أدركت المجتمعات الخصائص الإنسانية التي تميزها عن سائر الكائنات الحية، إلا أنها مع ذلك تعيش فروقا هامة وجوهرية فيما بينهما تتعلق أساسا بالقيم التي تتبناها، وفي هذا الصدد يقول شيلر "إنني إذا بحثت في جوهر أي شخص أو جمـــاعة أو أي مرحلة تاريخية أو أسرة أو أمة

---

[1]. نوال كريم زرزور، معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ط1 (بيروت :مكتبة لبنان ناشرون، 2001)، ص18.

[2]. مراد زعيمي، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق، ص222.

أو شـــعب أو أي جماعة تاريخية، فإنني سأعرفها وأفهمها جيدا عنـــدما أدرك نســـقها الخـــاص لتحديد القيم ومفاضلاتها أيا كانت طبيعة النظام الذي يتمثله هذا النسق، لأن هذا النسق هو مـــا أسميه روح الموضوع الذي أدرسه[1]"، والنسق القيمي عبارة عن نموذج مـــنظم ومتكامـــل مـــن التصورات والمفاهيم الدينامية الصريحة والضمنية يحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعيـــا ويـــؤثر في اختيار الأهداف والطرق والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل في جماعة أو مجتمع ما، ولا يعكس النسق القيمي قيم فرد بعينه، ولكنه عبارة عن إطار تجميعي يضم مجموعة قيم متكاملة معا ومكونة لنسق قيمي واحد[2]، هذا النسق القيمي الذي يكون جزءا هاما من الإطـــار المرجعـــي للســـلوك الإنساني يؤثر في اختيار الأهداف التي يجب العمل على تحقيقها وكذا الوسائل والأساليب المؤدية إليها، وهو من جهة أخرى يمثل نسقا من المقاييس الذي يتم من خلاله الحكم على سلوك الأفراد والجماعات وتحديد الجزاءات المناسبة على ذلك السلوك[3].

8. النظام الاجتماعي والقيم:

إن أعظم مشكلة تواجه الإنسان في بحثه عن سعادته وأمنه واستقراره هي مشـــكلة النظـــام الذي يحكم سلوكه ويوجه أعماله، ويضبط علاقاته مع عناصر الوجود وخـــالق الوجـــــــود[4]، "فنوع النظام الذي يحكم الحياة الإنسانية رهين بذلك التفسير الشامل، ولابـــد أن ينبثق منه انبثاقا ذاتيا، إلا إذا كان نظاما مفتعلا قريب الجذور سريع الذبول، والفترة التي يقدر له فيها البقاء هـــي فترة شقاء الإنسان، كما أنها فترة صدام بين هذا النظام وبين الفطرة البشرية وحاجات الإنســـان الحقيقية، الأمر الذي ينطبق اليوم على جميع الأنظمة في الأرض كلها-بلا اســـتثناء- وبخاصـــة في الأمم التي تسمى متقدمة[5]"، كما أن التجمع الإنساني لم تفرضه ظروفا أو أحـــوالا اقتصـــادية أو سياسية جعلت الأفراد يلجأون مضطرين إلى إقامة نظام اجتماعي، وإنما أوجده الله سبحانه وتعالى مثل أي مخلوق مزود بآليات للبناء وآليات للهدم وطاقات لتحقيق مصالحة ومنافعه، وأرسل إليـــه الهدى والنور وجعل تلازما وثيقا بين آليات البناء والالتزام بهدية التي تتناسب مع فطرته السوية،

---

1. السيدعبد العاطي السيد ، علم اجتماع المعرفة (الأزارلطية: دار المعرفة الجامعية، 2003)، ص154.
2. كمال التابعي ، الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية ، ط1(القاهرة: دار المعارف،1985)، ص44.
3. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق، ص222.
4. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق، ص286.
5. سيد قطب ، خصائص التصور الإسلامي (بيروت: دار الشروق،دون سنة نشر)، ص 12.

أما التخلي عن ذلك واللجوء إلى القانون الوضعي والآراء الإنسانية تضعف هذا النظام الاجتماعي وتجعله محل صراعات، وإيديولوجيات متنافرة تؤدي إلى الهدم وإلغاء لشخصية هذه النظام، بحيث يهتز نسق القيم فلا يستطيع الأفراد أن يميزوا بدقة بين ما هو أصيل وما هو مستورد وما هو صحيح وما خاطئ، وبالتالي فالمحدد الأول لقوة النظام الاجتماعي في الإسلام هو نسق القيم[1]، وعليه فإن جميع العلاقات التي تنشأ بين الأفراد في إطار نظام اجتماعي معين هي علاقات تحكمها طبيعة القيم السائدة في المجتمع، فإما أن تكون هذه العلاقات ضالة أو علاقات مهتدية، فأما العلاقات المهتدية فمصدرها ومبعثها القيم الإلهية الخالصة وفي إطار نظام اجتماعي يساير الفطرة الإنسانية، وهذه القيم هي التي يمكن لها أن تكون أساسا للتوادد والتراحم والتعاطف والتسامح والتعاون والتكافل، بما يؤدي إلى بناء مجتمع متقدم ومتحضر، أما العلاقات التي تكون في إطار نظام اجتماعي يخالف الفطرة الإنسانية فلا يمكن إلا أن تنشئ مجتمعا مفككا ممزقا[2]، تسوده علاقات الصراع واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فالناس وإن كانوا مفطورين على الميل لتكوين العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، إلا أنهم مع ذلك يملكون حرية الاختيار مما يجعلهم قادرين على تنويع هذه العلاقات وتغييرها، فهي علاقات لا تخضع للحتمية الآلية، فالعلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه هي التي تلد العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان[3].

9. العقيدة والقيم :

العقائد هي:"الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون في مرتبة اليقين عند أصحابها، لا يمازجها ريب أو يخالطها شك[4]"، والعقيدة هي التي تحدد حقيقة المجتمع وتميزه عن غيره من المجتمعات وهي التي تمد المجتمعات بالقيم التي على أساسها تبنى الثقافة وتوضع الموازين وتحدد الاتجاهات وتصاغ النظم وتحدد الضوابط، ويعني ذلك أن هناك تلازما وثيقا بين طبيعة التصور الاعتقادي وطبيعة النظام الاجتماعي، فالنظام الاجتماعي هو فرع عن التفسير الشامل لهذا الوجود ولمركز الإنسان فيه ووظيفته وغاية وجوده الإنساني، يقول محمد شلتوت: "تحتل العقيدة مكانة كبرى لدى كل إنسان حتى الملحد- ولدى كل المجتمعات حتى تلك التي لا تعترف

---

[1]. محمد علوان ، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع : الجماعة ، ط1(جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، 1983)، ص31.

[2]. مراد زعيمي ، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص37.

[3]. مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع : شبكة العلاقات الاجتماعية ، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط2 (بيروت: دار الفكر، 1974) ، ص52.

[4]. مراد زعيمي، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 245.

بالأديان- وتعد العقيدة الوجه الأساسي لسلوك الفرد، حيث تتحول إلى موجهات قيمية تتـــرجم إلى واقع سلوكي، فالمعتقدات هي التي تحكـــــم وتصيغ وتحدد القيم وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبطه وتحكمه وتوجهه[1]"، والعقيدة عامل ضبط في الفرد وســـلوكه وكلمـــا ازداد يقين الفرد بعقيدة معينة زاد التزامه فكريا وسلوكيا بمقتضياتها، وإذا كانت العقيدة تسهم في صياغة الشخصية المتماسكة فإنها تسهم كذالك في تحقيق تماسك الجماعـــة وتحقيـــق التكامـــل الاجتماعي على مستوى المجتمع كله لما تحققه من الشعور بالترابط والتقارب والألفة والقوة بـــين أبناء العقيدة الواحدة نتيجة لوحدة المنطلق ووحدة الهدف، وليست كل العقائد لها القدرة نفسها على إسعاد المجتمعات التي تتبناها لذلك تتميز العقيدة الصحيحة بـــ[2]:

- شمولها لجميع جوانب الحياة الإنسانية، ولكل النشاط الإنساني الفردي والجماعي.
- مسايرتها للفطرة البشرية.
- قدرتها على مجابهة القضايا المستجدة في حياة الناس بلا تناقض.

على هذا الأساس فالعقيدة الصحيحة الوحيدة هي عقيدة الإسلام، والتي تتوفر على كـــل خصائص ومميزات العقيدة الصحيحة التي تلبي الحاجات الفطرية للاعتقاد وتجنب الإنسان والمجتمع مساوئ وضلالات المذهبيات الفاسدة والفلسفات القاصرة، تنبثق عنها منظومة قيمية توجه أفراد المجتمع نحو تحقيق غاية الوجود الإنساني وهو الاستخلاف في الأرض .

---

[1]. مراد زعيمي، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق ، ص 247.

[2] . مراد زعيمي، "النظرية العلم اجتماعية:رؤية إسلامية"، المرجع السابق، ص 246.

الفصل الثالث: التنمية الاجتماعية

1. مفهوم التنمية
2. مفهوم التنمية الاجتماعية
3. الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية
4. مبادئ التنمية الاجتماعية
5. مجالات التنمية الاجتماعية
6. أهداف التنمية الاجتماعية
7. معوقات التنمية الاجتماعية
8. الإنسان والتنمية
9. مكونات التنمية الاجتماعية في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية

1. مفهوم التنمية :

اقتصر مفهوم التنمية على الجانب المادي وارتبط إلى حدّ بعيد بزيادة الإنتاج والاستهلاك، وأصبحت حضارات الأمم تقاس بمستوى دخل الفرد، ومدى استهلاكه السنوي للمواد الغذائية والسكنية ...الخ، بعيداً عن الاهتمام بتنمية خصائصه ومزاياه الإنسانيّة، وإعداده لأداء الدور المنوط به في الحياة، لتحقيق الأهداف التي خلق من أجلها، وقد سيطرت هذه النظرة المادية لعملية التنمية في عقول معظم بلدان العالم الإسلامي وسيطرت على تفكيرهم، نتيجة الهيمنة الغربية وسيطرة ثقافتها، لكنّ هذا المفهوم للتنمية الذي يجعل من الإنتاج والاستهلاك مقياساً لها بحيث إذا توفر نمو وزيادة في الإنتاج كانت هناك تنمية وإذا انتفى انتفت، قد ضيّق من مفهوم التنمية في المجتمعات الإنسانية وحصر طاقات الإنسان المتنوعة في طاقة واحدة هي الطاقة المادية المتمثلة في الإنتاج والاستهلاك لما أنتج، وإن كان هذا المقياس قد حقق نجاحاً باهراً في البيئة الغربية، لأنّ هذا التوجه في العملية التنموية كان متماشياً ومنسجماً مع النظرة الغربية للكون والإنسان والحياة، فالواقع يشهد بخلاف ذلك، فالتنمية عملية تشمل الجوانب المادية كما تشمل أيضا الجوانب الروحية وهما جانبان متكاملان، تنم عن النظرة الشمولية للحياة الإنسانية ومتطلباتها، وأما بلداننا التي تبنت هذا المفهوم للتنمية رجاء حصول نمو وتطور باء بالفشل، لا لضعف في الموارد البشرية أو لقلة في الموارد الطبيعية، ولكن لأن هذا التصور المادي للتنمية يختلف كثيرا عن المنظومة الحضارية والثقافية لبلداننا، وهو ما يبرر فشل السياسة التنموية التي انتهجت لحد الآن.

وإلى عهد قريب اعتبر مفهوم التنمية لدى العديد من الباحثين أنه مفهوم اقتصادي (الإنتاج، والاستهلاك، مستوى الدخل...الخ)، غير أن الواقع أثبت قصور هذا المفهوم، لأنّ هناك جوانب أخرى للتنمية، ترتبط بالإنسان ومتطلباته المختلفة، وبناء على ذلك ظهر مفهوم التنمية الشاملة أو مجالات التنمية، والتي من بينها التنمية الاجتماعية .

وعلى الرغم من ظهور هذا النوع من التوجه نحو التنمية الاجتماعية، فإنّ بعضاً من علماء الاقتصاد حاولوا تسخيـــر التنمية الاجتماعية لخدمة التنمية الاقتصادية بحيث تستثمر الأولى لحساب الثانية، وهذا التصور للتنمية الاجتماعية نجده عند هيجنـــز الذي يعدها عملية استثمار إنساني تتم في المجالات أو القطاعات التي تمس حياة البشر مثل التعليم، والصحة العامة، والإسكان، والرعاية الاجتماعية،...الخ، بحيث يوجه عائد تلك العملية إلى النشاط الاقتصادي الذي يبذل في المجتمع، لكن علماء الاجتماع يخطِّـــئون هذا المفهوم للتنمية ويرون أنها العملية التي تبذل بقصد

ووفق سياسة عامة لإحداث تطور اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم، سواء كانوا في مجتمعات محلية أو إقليمية أو قومية، بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهلية المنسقة، على أنْ يكتسب كل منهما قدرة أكثر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات، على هذا الأساس اعتبر جابريال لوبرا "أن التنمية ليست ظاهرة اقتصادية بحتة وإنما هي مجموعة من الظواهر من نوع مختلف ذات طبيعة سوسيولوجية و سيكولوجية[1]".

ويقصد بالتنمية أيضا أنها "عملية تغير ثقافي دينامية (متصلة وواعية)، وموجهة في إطار اجتماعي معين (بصرف النظر عن حجم هذا المجتمع)، وترتبط عملية التنمية بازدياد أعداد المشاركين من أبناء الجماعة في دفع التغير وتوجيهه، وكذلك في الانتفاع بنتائجه وثمراته[2]"، وبالتالي فالتنمية من خلال هذا التعريف هي شكل من أشكال التغير الاجتماعي والثقافي، كما تعرف كذلك على أنها: "التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة، لتحقيق التغير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها[3]"، وبالتالي لا يمكن من الناحية العملية الفصل بين التنمية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، فعملية التنمية الاقتصادية ذاتها لا تتم إلا داخل إطار اجتماعي تتفاعل ضمنه مجموعة من النظم والمتغيرات المتكاملة ذات البناء التاريخي المتميز[4].

أما مفهوم التنمية لدى بعض الباحثين المسلمين فهي: "مجموعة من الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع للقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض[5]"، فالرفاهية والصحة وفرص العمل والتعليم والتقدم التقني كل ذلك يهدف إلى شيء واحد وهو تأهيل الفرد المسلم ورفع كفاءته وتهيئة المناخ البيئي والاجتماعي الذي يساعده على القيام بأمر الله تعالى المتمثل في الاستخلاف في الأرض، وهذا التصور لمفهوم التنمية في الإسلام يساعد على إقامة التوازن بين جانبي التنمية المادية والروحية، استناد على البنية العميقة لعقيدة المسلم وثقافته، أي ذلك التغيير الحضاري المقصود والمخطط الذي يتناول كل جوانب حياة الإنسان المسلم.

---

[1].عبد الهادي الجوهري وآخرون ، مرجع سابق ، ص115.

[2]. كمال التابعي ، مرجع سابق ، ص 101.

[3]. عبد الكريم بكار ، مدخل إلى التنمية المتكاملة :رؤية إسلامية ، ط2(دمشق ، 2001)، ص10.

[4]. علي غربي وآخرون ، تنمية المجتمع من التحديث إلى العولمة، ط2(القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع،2003)، ص35.

[5]. عبد الرحيم تمام أبو كريشة ، دراسات في علم الاجتماع التنمية (الأزاريطية : المكتب الجامعي الحديث ، 2003)، ص41.

2. مفهوم التنمية الاجتماعية :

يعد مفهوم التنمية الاجتماعية من المفاهيم الفضفاضة، ولذلك كثرت تعريفاها واختلطت في بعض الأحيان مع مفاهيم سوسيولوجية أخرى، فنجد مثلا بوسكوف ينظر إلى ثلاثة مفاهيم سوسيولوجية هي: التنمية الاجتماعية والتطور الاجتماعي والتقدم الاجتماعي على أنها تتضمن تفسيرا خاصا للتغير الاجتماعي، وإشارة إلى اتجاه مسار التغير الناجح وحكما بالرغبة في تحديد اتجاه التغير[1]، ويميز العالم روب بين التنمية الاجتماعية والتغير الاجتماعي، ويعتبرها تكيفا يهدف لتغير الظروف أو التكيف الهادف مع الظروف، فالتنمية الاجتماعية من وجهة نظره تعتبر تغيرا في مواقف غير مرغوب فيها إلى مواقف أخرى مرغوب فيها، كما تعني استخدام الطاقة البشرية لإعطاء التغير اتجاها منطقيا من أجل تحقيق الأهداف المطلوبة، وهي بذلك مرتبطة بالأهداف الإنسانية في انصهارها مع القيم الاجتماعية، بما تتطلبه من عناصر تحمل معنى التماسك الاجتماعي بين أفراد يعيشون معا في علاقات اجتماعية مستقرة، ويتقاسمون ظروفا معيشية واحدة ويسعون من أجل تحقيق الرفاهية الاجتماعية.

كما انقسمت الاتجاهات النظرية المعاصرة في الدراسات الاجتماعية والمفسرة لمضمون التنمية الاجتماعية، إلى ثلاثة اتجاهات نظرية أساسية أهمها:

أ. اتجاه يقول أصحابه بأن اصطلاح التنمية الاجتماعية مرادف لاصطلاح الرعاية الاجتماعية بالمعنى الضيق لمفهوم الرعاية، والتي لا تمثل إلا جانبا واحدا من الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة لمواطنيها، وهي في مضموها الجهود المنتظمة التي تهدف إلى تنمية الموارد البشرية، أما خدمات الرعاية الاجتماعية فيقصد بها الخدمات التي تقدم للجماعات التي لا تستطيع أن تستفيد فائدة كاملة من الخدمات الاجتماعية القائمة مثل التعليم والصحة وغيرها.

ب. اتجاه يطلق أصحابه اصطلاح التنمية الاجتماعية على الخدمات التي تقدم في مجالات التعليم والصحة والإسكان والتدريب المهني وتنمية المجتمعات المحلية، وهي بهذا تهدف إلى توفير الخدمات التي تحقق أقصى استثمار متاح، ويعتبر هذا المفهوم من أكثر مفاهيم التنمية الاجتماعية شيوعا واستخداما، وإن كان يشير في مضمونه إلى ضرورة إدخال التغيرات اللازمة في البناء الاجتماعي للمجتمع.

---

[1]. علي الكاشف، التنمية الاجتماعية: مفاهيم وقضايا (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1985) ، ص31.

ج. اتجاه يشير إلى أن التنمية الاجتماعية هي عبارة عن تغير اجتماعي يلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد.

ولقد أصبح من الأمور المتفق عليها في إطار النظرية السوسيولوجية المعاصرة للتنمية أن يتضمن التخطيط للتنمية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في إطار تكاملي بحيث تواكب الإجراءات الاقتصادية إجراءات أخرى اجتماعية، ومن دلائل هذا الاهتمام المعاصر للتنمية الاجتماعية النظرة للمجتمعات الإنسانية من حيث بناؤها الاجتماعي ومستواها الحضاري، ولذلك حاول الباحثون الاعتماد على مقاييس مركبة تضم عدة مؤشرات اجتماعية وحضارية كمستوى الصحة والتعليم، وظروف العمل والإسكان، والتأمين الاجتماعي، والترويح ودرجة التجانس وعدم التجانس بين سكان المجتمع الواحد، وبالتالي اعتبرت التنمية الاجتماعية أنها: "عملية بواسطتها تنمو علاقات التعاون بين أفراد المجتمع من خلال دعم التفاعل فيما بينهم، وزيادة الشعور بالمسؤولية وإدراك احتياجات الآخرين، وذلك في إطار اجتماعي يسمح بتحقيق العدالة الاجتماعية[1]".

ولقد حاول العديد من الباحثين الاجتماعيين صياغة تعاريف للتنمية الاجتماعية، عكست الاختلافات الواضحة بينهم في تحديد مدلول التنمية الاجتماعية، فنجد المفكرين الرأسماليين يعرفون التنمية الاجتماعية بأنها "إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان عن طريق إصدار التشريعات ووضع البرامج الاجتماعية التي تقوم بتنفيذها الهيئات الحكومية والأهلية[2]"، أما النظرة الاشتراكية فتعتبر التنمية الاجتماعية ليست مجرد برامج الرعاية الاجتماعية تتحقق عن طريق التشريعات الحكومية، وإنما تعتبرها على أنها عملية تغير اجتماعي موجه تهدف إلى إحداث تغير جذري في مكونات البناء الاجتماعي في البلاد المتخلفة، وأن هذا التغير يتم عن طريق ثورة حتمية تقضي على البناء الاجتماعي القديم، وتقيم بناء جديدا تنبثق عنه علاقات اجتماعية جديدة وقيم مستحدثة، والتخلف من خلال هذا الفكر الماركسي ما هو إلا نتاج طبيعي لعملية الاستعمار والاستغلال الرأسمالي والتبعية الأجنبية، وأن تحقيق التقدم والتنمية رهن بتغير البناء الاجتماعي القديم، وإقامة مجتمع يحضى فيه كل فرد بحد أدنى لمستوى المعيشة لا ينبغي أن يترل عنه باعتباره حقا لكل مواطن تلتزم به الدولة قبل الأفراد[3].

---

[1] . علي الكاشف ، المرجع سابق ص27.

[2]. كمال التابعي ، المرجع سابق ، ص 59.

[3] . عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، ط2 (القاهرة : مكتبة وهبة، 1988)، ص 95.

أما وجهة نظر البحث فيعتبر أن التنمية الاجتماعية هي تحقيق المتطلبات الضرورية المتمثلة في الكليات الخمس لكل فرد في المجتمع في إطار مقاصد الشرع الإسلامي.

3.الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية:

تعددت المداخل النظرية التي تحاول معالجة قضية التنمية، والتي تشكل تراثها النظري، إلا أن حداثة استخدامه في التراث الاجتماعي جعل مختلف الدوائر العلمية تستخدمه في سياقات متباينة، وبدون الدخول في المناقشات التي دارت حول هذا المفهوم في التراث الاجتماعي، يمكننا التعرض لمختلف الاتجاهات النظرية المطروحة في علم الاجتماع حتى يتسنى لنا إدراك مدى قصورها أو قدرتها على استيعاب تعقيدات الواقع الاجتماعي، ومن المستحيل حسم هذه القضية حسما نظريا، لأنها تنطوي على مشكلات بالغة التعقيد، لذلك يبدوا أن البحث الإمبريقي وحده كفيل باختبار مدى كفاءة النظريات السوسيولوجية التي تطورت في مجتمعات غربية في دراسة واقع البلدان النامية، وما يلفت النظر في هذا السياق هو ذلك البحث المستمر عن نظرية للتنمية تأخذ بعين الاعتبار مسألة الخصوصية التاريخية، وفي إطار هذه المراجعة النقدية للبناء النظري في معالجة قضية التنمية، تعددت المحاولات التي بذلت لمعالجة قضية التنمية، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة لا تهتم بالتصنيفات النظرية المتعددة المتداولة في الحقل السوسيولوجي كونها تجد جذورها العميقة في مصدر فكري واحد بطابعه الإلحادي وأسلوبه العلماني[1]، ولغرض منهجي نعتمد التصنيف الذي يكاد يكون حوله إجماع لتيار البحث في علم الاجتماع في تناول قضية التنمية على غرار النظرية السوسيولوجية أحدهما مادي والآخر مثالي وكفروض واسعة النطاق ونقدهما بالبديل الفكري الإسلامي، رغم ما يحتاجه من المزيد من التنقيح والبلورة من خلال محكية واقعية ذات خصوصيات لكنها غير منعزلة عن السياق المعرفي العام (التكامل المعرفي والخصوصيات التاريخية)[2].

فالاتجاه الأول الذي يتبع الفكر بالمادة، ويرى أن التغير إنما يخضع لعوامل موضوعية، فنعالجه من خلال آراء كارل ماركس في دراسته للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في غرب أوربا، وفي مناطق أخرى من العالم، والذي قدم من خلالها تصورا عن تطور المجتمعات الإنسانية يكون فيه الأساس الاقتصادي المحدد الأساسي والمباشر لطبيعة المجتمع، أي أن أسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الشكل العام للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة، وتؤكد أغلب الدراسات السوسيولوجية أن كارل ماركس (1883-1818) أرسى دعائم الاتجاه المادي، وعلى هذا النحو

---

[1]. مراد زعيمي ، من التغريب إلى التأصيل (قسنطينة : دار المعرفة ، 1996)، ص21.

[2] . علي غربي وآخرون ، المرجع السابق ، ص71.

تعتمد قاعدة هذا النمط للتنمية على الحتمية الاقتصادية التي تعتبر أن العامل الاقتصادي الذي يتكون من الوسائل التكنولوجية للإنتاج هو العامل الأساسي المحدد لبناء المجتمع و تطوره، وكذا في تحديد التنظيم الاجتماعي للإنتاج الذي يعني أن طبيعة العلاقات الإنسانية تنمو مستقلة عن الإرادة الإنسانية، وينظر ماركس إلى مكانيزمات التغير في ضوء الإطار الجدلي لهيجل بتطبيقه ليس على الروح كما فعل هيجل وإنما على المادة[1]، حيث استخدم ماركس هذا الإطار الجدلي في تحليل المجتمع الرأسمالي الذي واكب الثورة الصناعية والذي يتجلى في وجود طبقتين (البرجوازية والبروليتارية) ، حيث يرى أن الصراع بينهما حتمي وسوف يؤدي هذا الصراع من خلال الوعي الطبقي إلى تدمير النظام الموجود ليرثه النظام الاشتراكي الذي يتميز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، حيث سلم في النهاية بمجتمع بلا طبقات.

إن أهم المفاهيم السوسيولوجية التي عالج من خلالها ماركس قضية التنمية، هي العوامل الاقتصادية (الظروف المادية) التي تحدد بدورها النظم القانونية والسياسية والدينية والفلسفية، وكذا مفهوم الصراع، الذي يعده ماركس بمثابة ثورة دافعة للتقدم وأن المراحل التاريخية مراحل حتمية بفعل التطور الجدلي للمجتمع، وبالتالي فالتنمية عملية ثورية تستهدف إحداث تغيرات جذرية في البناء الاجتماعي[2]، كما تضمنت المعالجة الماركسية للتنمية إشارة إلى التأثيرات التبادلية بين التنمية الاقتصادية والقيم، حيث ذهب إلى أن البناء الفوقي (الايدولوجيا، القانون، المعايير، القيم) ما هو إلا انعكاس للبناء الاقتصادي الأساسي، وأن أي تغير في البناء التحتي (الإنتاج، وسائل الإنتاج، علاقات الإنتاج) يصاحبه تغير في البناء الفوقي، أي أن التنمية الاقتصادية تؤدي إلى تغير النسق القيمي وتشكله، كما أن البناء الفوقي قد يؤخر عملية التطور أو يعجل بها، وهذا يعني أن القيم باعتبارها مكونا من مكونات البناء الفوقي قد يكون لها تأثير سلبي في التنمية فتعوق وتؤخر عملية التنمية، كما أنها من ناحية أخرى لها تأثيرات ايجابية على التنمية فتعجل بها،وبالتالي أكدت الماركسية على ضرورة توافق القيم مع أسلوب الإنتاج لما للنسق القيمي من تأثير بالغ على مكونات البناء الاجتماعي وعملية التنمية، ولذا لا ينبغي إسقاط النسق القيمي عند وضع الخطط والبرامج الإنمائية[3].

أما الاتجاه الثاني فيتبع المادة بالفكر ويرى أن الأفكار علة التغير الاجتماعي، أي أن وعي

---

[1] . عبد الرحيم تمام أبو كريشة ، المرجع السابق ، ص58.

[2]. كمال التابعي ، المرجع السابق ، ص 105.

[3]. كمال التابعي ، المرجع السابق، ص 107.

الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي وتفسر من خلاله ظواهر التفكك والصراع والتوازن، والتخلف والتنمية، في ضوء متغيرات سوسيولوجية وسيكولوجية.

وعلى هذا الأساس اهتم ماكس فيبر بالكشف عن القيم والاتجاهات السيكولوجية التي أدت إلى نمو النظام الرأسمالي، بالرجوع إلى الأنساق الفكرية والقيمية، تلك الأنساق القادرة في نظره على تحقيق التكامل والاستقرار والتوازن والنظام، في مؤلفه بعنوان الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية سنة 1904، حيث يقول":إننا لسنا مهتمين بتأكيد ما كان يدرس نظريا ورسميا في مجال الأخلاق في ذلك الزمان......، ولكننا مهتمين بشيء مختلف كلية وهو تأثير التصديقات السيكولوجية المتولدة عن الاعتقاد الديني والممارسة الدينية والتي تعطي توجيها للسلوك العملي يلتزم به الفرد[1]"، وقد انطلق في دراسته من السؤال الآتي:

إلى أي مدى تؤثر التصورات الدينية عن العالم والوجود في السلوك الاقتصادي لكافة المجتمعات؟ موضحا أن القيم الدينية هي مفتاح فهم التطور الاقتصادي وليس أسلوب الإنتاج، وبذلك حاول التأكيد على قضيتين أساسيتين هما[2]:

أ .أن سلوك الأفراد في مختلف المجتمعات لا يفهم إلا في سياق تصورهم العام للوجود، وأن المعتقدات الدينية وتفسيراتها تعتبر إحدى التصورات للعالم، والتي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات بما في ذلك السلوك الاقتصادي.

ب .أن التصورات الدينية -هي بالفعل -إحدى محددات السلوك الاقتصادي، ومن ثمة فهي تعد من بين أسباب تغير أنماط هذا السلوك.

تجدر الإشارة إلى أن ماكس فيبر اهتم بدراسة نفس الظاهرة التي اهتم بها كارل ماركس، وهي نشأة الرأسمالية كأسلوب للتنمية، رغم الاختلاف في تفسير نشأة النظام الرأسمالي، فوفق المنظور الماركسي نشأ نتيجة لتطور أسلوب الإنتاج وعلاقات الإنتاج وتناقضها، ومن منظور ماكس فيبر نشأت الرأسمالية الحديثة من خلال العقيدة البروتستانتية، وأن هناك تأثيرات تبادلية بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية، وانتهى إلى أن العقيدة البروتستانتية هي القوة التي أنتجت نمطا جديدا للشخصية وبثت روحا جديدة في مواقف العمال وأصحاب العمل، وأدت في النهاية إلى نمو الرأسمالية الحديثة، غير أن أهم ما يعنينا ونحن بصدد الكشف عن تأثير القيم الدينية في التنمية هو أن ماكس فيبر حاول الكشف عن التأثيرات التبادلية بين الظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية،

---

[1]. محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي (الأزاريطية : دار المعرفة الجامعية ، 2003)، ص ص 272 ، 273.

[2] .زيدان عبد الباقي ، علم الاجتماع الديني (مكتبة غريب ، 1981)، ص110.

وتتمثل في أن القيم الدينية البروتستانتية تمثل قوة معجلة للتنمية وسندا ودعامة أقيم عليها النظام الرأسمالي الحديث، هذا بالإضافة إلى أن الظواهر الدينية تتأثر بالظواهر الاقتصادية.

أما تصور هذين الاتجاهين عن العلاقة بين الدين والتنمية وفي تفسير الصلة الوثيقة بين الدين والسلوك هو تصور اقتصادي مادي بحت ، "إن غايات الدين ...في الأغلب اقتصادية، مما يفسر سبب عجز الورع الديني عن أن يمنع فلاحا أوروبيا جنوبيا من أن يبصق على تمثال قديس عندما لم يحقق له مطالب كان تقدم بها إليه[1]"، وبالتالي فإن هذه الاتجاهات ومن على نمطها لا تصلح لتفسير عملية التنمية في المجتمعات الإسلامية، وبمناقشة كل منهما بالمقارنة مع التصور الإسلامي نجد أن الفكر الماركسي أسند عوامل التقدم والتطور إلى المادية وحدها ولاشيء غيرها وأن دوافع السلوك مادية بحتة بغير وازع ديني وهذا ما ينكره الإسلام، وفي مجال المقارنة -على سبيل المثال لا الحصر -يمكن أن نبرز النقاط التالية :

-أن الفكر الماركسي يتعارض والإسلام في مجال الأخلاق، ففي الإسلام أخلاقه قائمة على الرحمة والعدل والإنصاف...الخ، أما الشيوعية فإنها تقوم على إثارة العداوة والحقد بين الطبقات.

-الإسلام يحترم الفرد ويحفظ له حقوقه وكرامته في حدود مبادئ الوحي، أما الشيوعية فإنها لا تضع للفرد أي تقدير.

-الفكر الماركسي يدعو إلى الصراع والحرب بين الطبقات الاجتماعية، أما الإسلام فيدعو إلى التعاون والمشاركة بين جميع الناس مهما اختلفت منازلهم ومراكزهم الاجتماعية، والفصل بينهم على أساس التقوى والعمل الصالح.

أما الاتجاه الثاني والذي يختلف تماما عن الاتجاه الأول فقد تبين أنه معيب في جوهره، بمعنى أنه حتى بالنسبة للمجتمعات الغربية لم يقدم له التنمية المتكاملة، فلقد انصهرت الأنماط الثقافية لبلدان الغرب في ثقافة واحدة تقريبا تقوم على الاستهلاكية والتسلح، وإن كان قد نجح في توفير الرفاه المادي لمجتمعه، إلا أن ذلك استتبع أثارا مدمرة في المجالات البيئية والاجتماعية والثقافية، نتج عنه أمراض مستعصية وحولت الإنسان إلى أداة إنتاج تابعة للآلة، وارتفعت معدلات الانتحار والعزوف عن الإنجاب وشيوع الشذوذ الجنسي والانحلال الخلقي...الخ، والحقيقة أن أعمال فيبر حظيت باهتمام كبير من قبل علماء الاجتماع والاقتصاد ولقيت محاولات نقد وتقييم مستفيضة امتلأت بها صفحات الكتب المتخصصة، وفي محاولة الوقوف على مدى الصدق الإمبريقي والكفاءة

---

[1] . حليم بركات ، المجتمع العربي المعاصر : بحث استطلاعي اجتماعي، ط7 (بيروت: مركز الوحدة العربية ، 2001)، ص 288.

النظرية لأفكار فيبر التحديثية –مقارنة بالفكر الماركسي -من خلال التطرق إلى أبرز النقاط التي تكتسي مصداقية تاريخو-واقعية (تاريخية وواقعية) بمعنى التركيز على الجوانب التي أغفلها فيبر في نسقه النظري التحديثي، ومن بين أهم هذه النقاط ما يلي[1] :

أ .تشير الكثير من الشواهد التاريخية أن هناك ديانات، تختلف عن المسيحية وعقيدتها البروتستانتية تحث على العلم والتفاني في العمل كالإسلام .

ب .أغفل فيبر في دراسته-قصدا -دور الاستعمار في تخلف الكثير من البلاد النامية وذلك حتى يتسنى له المزيد من النهب للخيرات والثروات والنهوض باقتصاده .

ج .في تقديمه للنموذج الغربي على أنه الأمثل يجب الاقتداء به كان متحيزا إلى الثقافة الغربية وكأنها الثقافة العالمية والنموذجية، وهذا إجحاف في حق الثقافات الأخرى .

وباختصار كما يرى التابعي " أن معالجة ماكس فيبر لقضية العلاقة بين القيم الدينية والتنمية الاقتصادية ونشأة النظام الرأسمالي، قد انطلقت من النزعة البنائية التاريخية، وتضمنت أفكارا وقضايا ارتبطت بالواقع الأوروبي والغربي، ذلك الواقع الذي تحيز له .....، إن هذا الاتجاه قد أفاد في إلقاء الضوء على الدور الذي تلعبه القيم الروحية في التنمية، والتأكيد على أن القيم تمثل مطلبا أساسيا من متطلبات التنمية، ينبغي عدم إغفاله [2]".

من خلال هذا التحليل يمكن التأكيد أن هذه الاتجاهات السوسيولوجية عجزت عن فهم وتفسير مقولات وقضايا التنمية بشكل عام، وعليه فإن معالجة قضية التنمية في مجتمعاتنا الإسلامية لا بد أن تنطلق من مقوماتها الدينية–العقيدة الإسلامية– ومما تحتويه من عناصر أصيلة، منبثقة من واقع ثقافتها ودينها، فالتنمية التي ننشدها هي التنمية في إطارها الإسلامي، أي المبنية على النموذج القيمي المتجسد على القرآن والسنة، فقد نظم الإسلام شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية، بما انطوى عليه من مبادئ وأفكار ونظم وأساليب التفكير وقواعد الأخلاق، ويجدر بنا أن نستنبط هذه القيم والتخلص من مجرد تكرار الأنماط التنموية الغربية دون جدوى، وبناء النموذج التنموي الإسلامي.

4. مبادئ التنمية الاجتماعية:

اقترحت الأمم المتحدة في الدليل الذي أصدرته عام 1988م المبادئ العالمية العامة الموجهة لسياسات وبرامج التنمية الاجتماعية، وذلك على أساس أن الأهداف الاجتماعية تعتبر عالمية أي

[1] . علي غربي وآخرون ، المرجع السابق ، ص89، 90.

[2] . علي غربي وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 91، 92.

واحدة في كل المجتمعات، حيث إنها تقابل الاحتياجات الأساسية وتطلعات الناس في كل مكان، مع الأخذ في الاعتبار تنوع واختلاف المداخل بالنسبة لعديد من الدول حسب تنوع النظم الاجتماعية واختلاف مستويات التنمية لدى كل منها، وفيما يلي نص تلك المبادئ:[1]

أ- ينبغي النظر إلى برامج التنمية الاجتماعية في الإطار الأشمل لأهداف وأغراض ميثاق التقدم الاجتماعي ، حيث يقر المبدأ الرئيسي للميثاق ما يلي :إن جميع الناس لديهم الحق في العيش في حرية وكرامة، بدون أي شكل من أشكال التميز مثل السياسة القمعية للتفرقة العنصرية، كما أن لهم الحق في المشاركة الكاملة في عمليات التنمية الاجتماعية والاستمتاع بثمار التقدم الاجتماعي، كما أن عليهم-من جانبهم -أن يساهموا فيها بجهودهم.

ب- إن التحديات التي تواجهنا في التكيف مع التغيرات في الظروف الاجتماعية والاقتصادية يمكن التغلب عليها بفاعلية من خلال سياسات متكاملة للتنمية الاجتماعية وأنساق التدعيم الاجتماعي- ذات العلاقة بها -لإعادة التوجيه لتكون لها مساهمة أكثر إيجابية تدعم التنمية الشاملة، وذلك من خلال منظور طويل الأمد مع الاستمرارية في أهداف تلك السياسات، ومن الضروري التأكيد على أن البرامج الاجتماعية لا تمثل عبئا على الموارد المتاحة، بل إنها أيضا أحد أشكال الاستثمار التي لا تختلف عن الاستثمار في البنية الاقتصادية الأساسية.

ج- إن هناك حاجة لتصميم برامج مدعومة دوليا لتحقيق التوافق الاقتصادي في ظل إطار طويل المدى يسمح لهذا التوافق أن يتحقق ضمن النمو، دون إحداث اختلالات اجتماعية، ومن خلال تلك البرامج لابد من اتخاذ إجراءات لحماية الفئات الضعيفة في المجتمع، وتدعيم قدرة الناس على المساهمة في جهود التنمية، مع إعطاء هذه الإجراءات اهتماما أكبر.

د- التأكيد على الحقوق المتساوية للمرأة والرجل في الأحوال الأسرية، وإعطاء أهمية لتحقيق مشاركة متساوية وفوائد متساوية للمرأة والرجل في جميع مجالات التنمية الاجتماعية، وذلك في إطار القوانين القومية وبما يتماشى مع الاستراتيجيات المتفق عليها في مؤتمر نيروبي.

ه- يسهل تحقيق التوافق مع الأوضاع المتغيرة في ظل زيادة التضامن والكرامة الإنسانية، واحترام الحقوق الإنسانية، والمساواة بين الرجل والمرأة، والعدالة الاجتماعية، وممارسة الديمقراطية وحق التجمع في منظمات بما في ذلك الحرية الدينية، وحرية التعبير، وحرية الانتقال للأشخاص، مع وجود نظام قضائي عادل وذي استقلال.

[1] . United Nation Guiding Principales For Development Social Welfare Policies and Programmes in the Near Future (New York :United Nation 1988) PP17 18.

و- إن أحد الاهتمامات الرئيسية في تصميم برامج التنمية الاجتماعية الجديدة سيكون الاستخدام الكامل للموارد البشرية، وعدم التركيز على تشجيع المبادرة والاعتماد على الذات لدى الأفراد.

ي- الحاجة إلى إعطاء اهتمام أكبر نحو زيادة قدرة المجتمع والأسرة على البقاء والنماء في إطار من المساواة بين الرجل والمرأة، ودعم الفئات الضعيفة والمحرومة في جهودهم التي يبذلونها لتلبية احتياجاتهم.

ك- الحاجة إلى تقوية دور المنظمات التطوعية وغير الحكومية والهيئات الخاصة ومساهماتهم، وتشجيع جهود الناس أنفسهم للمساهمة في تدعيم الخدمات الاجتماعية والتنمية، وذلك في إطار من القوانين القومية.

ن-يمكن تقوية التماسك الاجتماعي عن طريق ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على المستوى القومي، على وجه يتلاءم مع الظروف السائدة ومستوى الموارد المتاحة، وذلك بهدف حماية الأفراد من فقدان ما حصلوا عليه، كثمرة للعمل المنتج، مع حماية الفئات الضعيفة والمحرومة، ويوضح هذا الحد الأدنى من خلال رؤية طويلة الأمد مع الالتزام بزيادته وتطويره بالتدرج.

ص- هناك إدراك متزايد للحاجة إلى تشجيع الوصول إلى فهم أفضل لمفاهيم التنمية الاجتماعية وممارستها في الدول المختلفة، وكذا لدور الرعاية الاجتماعية في إطار التنمية الاجتماعية الشاملة.

ح-يمكن تقوية الجهود القومية لتشجيع التقدم الاجتماعي وتحسين الرعاية الاجتماعية عن طريق التعاون الإقليمي، والتعاون بين الأقاليم، وبين المنظمات الحكومية وغير الحكومية، والجماعات ذات الاهتمامات الاجتماعية.

ز- المحافظة على ظروف السلام وتحسين كل أشكال التعاون والحوار الدولي، يمكن أيضا أن يساعد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة للتركيز بشكل أفضل على القضايا المهمة للسياسة الاجتماعية.

بتفحص المبادئ التي أخذت بها هيئة الأمم المتحدة لمعرفة مدى ملاءمتها لاحتياجات المجتمعات الإسلامية –في هذه الحقبة من الزمن -وفي ضوء القيم المبادئ الإسلامية يمكن ملاحظة مايلي [1]:

-الحرية والعدالة والمساواة، هي قيم أساسية ومبادئ يجب تطبيقها في مجال التنمية الاجتماعية في كل من المنظور الغربي والمنظور الإسلامي، والفرق بين المنظورين يكمن في اختلاف المنطلق الذي تنطلق منه تلك القيم، فنجد أنه في الإسلام تنطلق تلك القيم من العقيدة الإسلامية التي أساسها

[1]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، المرجع السابق، ص ص83،84.

التوحيد، بينما تنطلق في الحضارة الغربية من الظروف التاريخية والصراعات الاجتماعية والسياسية، مثل انتهاء عهد الإقطاع وظهور الثورة الفرنسية التي كان من أهم نتائجها على العالم إعلان حقوق الإنسان في صورة الميثاق العالمي لحقوق الإنسان.

-تؤكد مبادئ الأمم المتحدة على أهمية التكامل الاقتصادي والاجتماعي فقط، بينما نجد في الإسلام أهمية التكامل بين الجوانب الإعتقادية أو الإيمانية والجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

-تشير مبادئ الأمم المتحدة إلى الحاجة إلى الدعم الدولي لبرامج التنمية الاجتماعية، والتي غالبا ما تمول من المساعدات الدولية التي تحكمها المصلحة قصيرة النظر لتلك الدول، والرغبة في تحقيق أغراضها السياسية، أما الإسلام نجد أن مفهوم الأخوة والتكافل الاجتماعي كقيم يؤمن بها المجتمع الإسلامي، يحتم التعاون والتكامل في سد الاحتياجات وتمويل البرامج الاجتماعية بين القطاعات المختلفة في المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الإسلامية فيما بينها ،استجابة لأوامر الله التي تحقق المصلحة في الدنيا والآخرة.

-إن التطوع ومساهمة الناس جميعا -أو ما يسمى بالمشاركة -في جهود التنمية الاجتماعية وتقديم الخدمات الاجتماعية، الذي تنادي به مبادئ الأمم المتحدة والذي اعتبرته كثير من الدول الصناعية المتقدمة المخرج الوحيد لأزمة التمويل للتنمية الاجتماعية ،نجد أن الإسلام قد حث عليه، بل ربطه بالإيمان بالله وجعله جزءا لا يتجزأ منه .

-ضمان حد أدنى من الدعم والحماية الاجتماعية على مستوى الدولة وحماية الفئات الضعيفة، هو من المسؤوليات الشرعية للدولة في الإسلام ،لذلك فلا خلاف عليه، كما أن الحد الأدنى ليس هو الكفاف ولكنه حد الكفاية ،ويتحقق بصورة رئيسية —كما سبق الإشارة -عن طريق مسؤولية الدولة في تحصيل الزكاة وتوزيعها على الفئات المستحقة.

-يتميز الإسلام بالنظرة إلى الإنسان كمستخلف، ولذلك فإن مفهوم الاستخلاف يجب أن يكون له دور في ترشيد السياسات الاجتماعية لتحقيق إرادة الله وشرعه من جهة، والتركيز على تنمية الموارد البشرية واستخدامها كاملا من جهة أخرى ،ومبادئ الأمم المتحدة إن كانت تطالب بتنمية الموارد البشرية، إلا أن ذلك ليس بهدف تحقيق الإرادة الإلهية .

-أما عن الاهتمام بالأسرة والمطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة، فمعروف مدى اهتمام الشارع بتنظيم أوضاع الأسرة وسنه للتشريعات التي تحمي كيانها وتدعم قدراتها، أما المساواة بين الرجل والمرأة في الأحوال الأسرية فإن للإسلام نظرته الخاصة في ذلك، فلتحقيق المساواة العادلة بينهما نجده أعطى كلا منهما ما يناسبه من حقوق وطالبهما بالواجبات التي تتلاءم وخصائص كل

منهما، فالإسلام له نسقه للتكامل في تنظيم الروابط والحقوق والواجبات، وهو أكثر تحقيقا للمساواة الحقيقية من مجرد المقارنات السطحية التي يقيمها الكثيرون بين بعض جوانب تلك الحقوق والواجبات في غيبة النظر إلى بعضها الآخر.

5. مجالات التنمية الاجتماعية :

تعنى التنمية الاجتماعية بمختلف احتياجات الإنسان، وعلى هذا الأساس تعددت تصنيفات مجالات التنمية الاجتماعية منها[1]:

-من حيث نوعية الخدمات :ويشتمل هذا النوع على خدمات، تتعلق بالتعليم والصحة والإسكان والترويح والأمن، والعدالة والتربية الدينية والخدمات الاجتماعية.

- من حيث المجال الجغرافي:ويشتمل على خدمات تتعلق بتنمية المجتمعات، الحضرية والريفية والصحراوية.

- من حيث الفئات العمرية :ويشتمل على خدمات تتعلق، بالطفولة والشباب والمرأة والشيوخ.

ويتضح من كتابات العلماء المسلمين كالشاطبي والغزالي وابن خلدون وغيرهم أن مجالات التنمية الاجتماعية في ظل المجتمع المسلم لها ثلاثة مجالات هي: الضروريات والحاجيات والتحسينيات[2]، أي أن رفاه المجتمع المسلم واستقراره وسعادة أفراده يتطلب توجيه موارده للحفاظ على هذه المجالات الثلاثة، ويعرف المجال الأول من مجالات التنمية الاجتماعية من مقاصد الشريعة الإسلامية بالكليات الخمس، والتي تتكون من خمس ضروريات أساسية هي: الدين، النفس، النسل، العقل، والمال، وسميت بالضروريات لأن عدم حفظ واحدة منها أو أكثر يؤدي إلى الإخلال بأمن واستقرار وازدهار المجتمع، والمقصد العام كما يذكره آخرون هو "إسعاد الفرد والجماعة وحفظ نظام التعايش فيها وعمارة الأرض واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل والعمل وإصلاح في الأرض واستنباطها لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع[3]"،ولذلك فإنه يمكن القول أن الهدف العام للتنمية الاجتماعية ينبثق من أهداف مقاصد الشريعة ،مع ملاحظة مايلي بالنسبة لخصائص المصلحة الشرعية [4]:

---

[1]. أحمد مصطفى خاطر، المرجع السابق، ص235.

[2] . يوسف خليفة اليوسف، "نظام مجتمع التكافل الذي أوجده الإسلام والذي يحاول منافسة دولة الرفاهية ضمن إمكانات محدودة"،دورية دولة الرفاهية الاجتماعية ،ط1(بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) ،ص555.

[3]. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها (الرباط: مطبعة الرسالة ، 1979)، ص41.

[4]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق، ص80.

أ. أن مصدرها هدي الشرع، وليس هوى النفس أو العقل المجرد.

ب. أن المصلحة والمفسدة في الشريعة الإسلامية ليست محدودة بالدنيا وحدها، بل باعتبار الدنيا والآخرة مكانا وزمانا لجني ثمار الأعمال.

ج. لا تنحصر المصلحة الشرعية في اللذة المادية، كما هو شأن المصلحة عند علماء الأخلاق، وإنما تتعدى حدود اللذة والسعادة الروحية التي هي من تمام الإيمان.

د. إن مصلحة الدين أساس للمصالح الأخرى ومقدمة عليها، ويجب التضحية بما سواها في سبيل المحافظة عليها وإلغاء ما يعارضها من المصالح الأخرى، وهذا بخلاف ما يراها علماء الأخلاق والقانون والاجتماع .

ويحاول البحث قياس مدى تحقق هذه المقاصد لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم من خلال القيم الإسلامية كقناعات دينية في المجتمع في إطار نظام اجتماعي يحتكم في تنظيمه إلى الشرع الإسلامي.

6. أهداف التنمية الاجتماعية:

إن الهدف الرئيسي للتنمية الاجتماعية، هو تحسين نوعية الحياة والحفاظ على كرامة الإنسان، بما يمكنه من أداء واجبه تجاه خالقه، كمخلوق استخلفه الله في الأرض، وهو يسعى إلى ذلك يجب أن تتوفر له مجموعة من الحاجات الحياتية، تتيح له أداء هذا الواجب، وهذه الحاجات متمثلة أساسا في مختلف الحاجات الروحية والعقلية والنفسية والجسمية التي تلزم الفرد والمجتمع، فالحاجات المادية تتمثل في الغذاء، والمسكن، والكساء، والعمل، والإنتاج، والتبادل...الخ، والحاجات النفسية تتمثل في الشعور بالأمان، والطمأنينة، والراحة النفسية...الخ، والحاجات الاجتماعية مثل التوافق مع المجتمع، والحاجات الدينية المتمثلة في أداء الواجبات الدينية على أكمل وجه.

وفي هذا الصدد يقدم لنا التصور الإسلامي تفسيرا للمشكلات التي يقع فيها الفرد أو المجتمع في غاية إشباع الحاجات المختلفة، من خلال مدى صلة الإنسان بربه والذي يصدق عند كل مستويات إشباع الفرد للحاجات، وتفسير ذلك أن انقطاع الصلة بالله أو ضعفها يؤدي إلى افتقاد إشباع الحاجات، أي افتقار الروح إلى الارتباط بالله، فالإنسان إذا افتقد اليقين بالله سبحانه وتعالى فإنه يتخبط في إشباع حاجاته الدنيوية(المادية والنفسية والاجتماعية) على غير هدى من الله، فيبالغ في الجزع من أي نقص في إشباع تلك الحاجات، وعلى الجانب الآخر فإن توفرت له الموارد الكثيرة لإشباع حاجاته المادية يميل إلى الطغيان والتجاوز، ومن ذلك نستنتج أن نقص

المعرفة واليقين والثقة بالله تعالى يؤدي إلى وقوع المشكلات سواء أشبعت الحاجة المادية أم لم تشبع، وبالتالي فإن حسن الصلة بالله سبحانه وتعالى يجعل المشكلات التي يواجهها الفرد أقل حدة بكثير، وبالتالي يتوقف الأمر بالدرجة الأولى على نوع صلة الإنسان بالله تعالى، كما أنه لا يجوز إغفال إشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية)، وإن كان إشباعها ينبغي أن يكون إشباعا متوازنا لا يجعل منها أبدا هدفا في ذاتها بحيث لا تكون أكبر هم العبد ولا تكون مبلغ علمه، فالمنظور الإسلامي يستوعب الاهتمامات والحاجات الدنيوية للإنسان التي أسرف المنظور الغربي في التركيز عليها، ويضعها في موضعها الصحيح من حاجات الإنسان في الدنيا ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى، وفي هذا الصدد يرى خورشيد أحمد أن الأساس الفلسفي للمدخل الإسلامي للتنمية الاجتماعية يتمثل فيمايلي[1]:

التوحيد :وهو يضع القواعد الأساسية لعلاقة الإنسان بربه وعلاقته بالآخرين.

الربوبية: ويقصد بها هنا الترتيبات الإلهية التي تمد الإنسان والكائنات الحية بالغذاء والأسباب التي تبقي على حياتهم، وتوجيه الأشياء لتحقيق كمالها، وهذا هو القانون الأساسي للكون، والذي يلقي الضوء على النموذج الإلهي للتنمية المفيدة للمصادر والإمدادات المتبادلة لها، وإنه من خلال هذه الترتيبات الإلهية يأخذ الجهد البشري مكانه.

الخلافة: وهي دور الإنسان كخليفة لله يعمل على إعمار الأرض وإقامة شرع الله فيها، وهذا يحدد دور الإنسان ومكانته ومسؤوليته كمسلم، ومسؤولية الأمة الإسلامية كمستأمنة على الخلافة، ويترتب عليه المفاهيم المميزة لكل من الأمانة الملقاة على الإنسان، والأخلاق والسياسة والاقتصاد ومبادئ التنظيم الاجتماعي.

التزكية :بمعنى التطهير والنمو، ولقد كانت مهمة كل أنبياء الله هي القيام بتزكية الإنسان فيما يتعلق بعلاقته بربه وعلاقته بأخيه الإنسان وبمجتمعه، وبالدولة وبالبيئة الطبيعية من حوله.

ولقد حاول المفكرون الغربيون رسم أبعاد ومقاييس للرفاهية والسعادة البشرية، ومن تلك المحاولات ما قام به ولنكسون لتحديد أبعاد الخير، حيث حدد لها ثلاثة أبعاد هي[2]: البعد المادي – الاقتصادي– والبعد البشري –الإنساني– والبعد الاجتماعي البيئي، وأوضح أن أي تطور وتقدم موجب فيها، إنما يمثل تنمية، وبالتالي يعبد الطريق إلى بلوغ مجتمع الرفاهية، أما اديلمان وكريستينان موريس فأشارتا إلى مؤشرات ثلاثة لبلوغ الخير الاجتماعي وهي: المؤشرات

---

1. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق، ص81.

2. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق ، ص85.

الاجتماعية -الثقافية-، والمؤشرات السياسية، والمؤشرات الاقتصادية، بينما حددت هيئة حماية البيئة بالولايات المتحدة الأمريكية أبعادا أربعة لبلوغ الحياة الجيدة المرادة -من منظور بيئي- وهي: جودة البيئة الطبيعية، وجودة البيئة الاقتصادية، وجودة البيئة الاجتماعية، وجودة البيئة السياسية.

والمتأمل للأبعاد والمؤشرات السابقة التي تحدد التنمية الاجتماعية، يلاحظ أنها جميعا قد أغفلت البعد الروحي المتعلق بنوع صلة الناس بربهم، بينما يمثل في المنظور الإسلامي البعد المهيمن على جميع الأبعاد الأخرى، فالنموذج الإسلامي للتنمية يرى"الحياة الجيدة أو الرفاهية الاجتماعية المبتغاة، متمثلة في تحسين الأبنية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية بما تشمل عليه جميعا من أبعاد فرعية، كما أنه ينظر إلى البناء الديني أو البعد العقائدي كأساس يحتوي على الأبعاد والأبنية الأخرى للتنمية ويؤثر فيها[1]".

7. معوقات التنمية الاجتماعية :

إن النظرة المدققة في تراث التنمية تكشف عن وجود اهتمام واضح بالمؤشرات الكمية والكيفية للتنمية، وتحاول اختزال تنمية الدول النامية (الدول التي كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة) والتعبير عنها في صورة مؤشرات كمية(مستوى الثروة ،التحضر ،التعليم ...الخ)، أو مؤشرات كيفية (الدافعية نحو الانجاز ،القيم والدوافع التي ترفع معدل التنمية، مصادر الانجاز العالية ...الخ)، وهي محاولات لتقديم تصور لتفسير ظاهرة التخلف والتنمية وفق متغيرات نمط محددة، وهو يمثل امتداد للتقليد السوسيولوجي الذي يميل إلى تصنيف المجتمعات إلى ثنائيات تعكس ازدواجية التقليد-التحديث، ويؤكد بعض الباحثين على نقطة أساسية، هي أن المستوى العالي من الإبداع والخلق شرط أساسي لإحداث التنمية أي التجديد في المجتمع، والوعي بالمشاركة الجماعية في عملية التغيير، غير أن عملية التنمية في بلداننا تعترضها عدة معيقات تحول دون تمثل هذه التجديدات، هذه المعيقات ترتبط بالدرجة الأولى باعتقاد البلدان النامية بأن التغيير الاجتماعي يتوقف على حجم مقومات التقدم المنقولة من البلدان المتقدمة (المعرفة العلمية ،رأس المال ،القيم الغربية...الخ)، وإغفال طبيعة البناء الاجتماعي الذي فرضه الاستعمار على البلدان المتخلفة، وهي دعوة إلى تكرار نفس تجربة البلدان المتقدمة (تطبيق الليبرالية) وتجاهل الخصوصيات التاريخية والحضارية لبلداننا، وفي نفس السياق تعتبر المحاولات الفكرية التي تسعى إلى تحليل أسباب تخلف بلداننا أن المعيقات التي تقف عقبة أمام عملية التنمية ترتبط بالعادات المتخلفة والقيم السائدة في

---

[1]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق ، ص86.

المجتمع والتي تمثل مصدرا للفساد والتخلف يجب التخلي عنها، واعتبرت التنمية عملية اكتساب أو فقدان خصائص أو سمات يعتقد أنها خصائص التنمية أو التخلف، ينطوي على كثير من الغموض والمغالطة فالتخلف لا يرتبط بخصائص هذه المجتمعات (شخصية غير خلاقة، شخصية تسلطية، الأسرة الممتدة والقبيلة...الخ)، وإنما يرتبط بالظروف التاريخية التي عاشتها هذه الشعوب وبطبيعة النظام الدولي المجحف، وفي سياق البحث عن نظرية تتلاءم مع واقع البلدان النامية، وانطلاقا من المسلمة المعرفية القائلة أن أي ضرب من ضروب التنظير أو التفكير ما هو إلا انعكاس لواقع معين بما يغلفه هذا الواقع من تيارات أيديولوجية[1]، أصبحت الخصوصية التاريخية لدى بعض الباحثين نهجا وطريقا للتنظير للواقع الاجتماعي الذي يتخذ من هذا الواقع أساسا لانتقاء المفاهيم التي تتلاءم معه، من منطلق أن الدول النامية تعيش تكوينا اجتماعيا متعدد الأنماط باعتباره سببا ونتيجة لظواهر تطبع مجتمعات هذه الدول (التخلف، التبعية، التجزئة).

8. الإنسان والتنمية:

من الأخطاء الكبرى أن ننظر إلى التنمية على أنها عالم الكميات والأرقام، ونهمل دور الإنسان فيها، فالتعمق في الحقائق الاقتصادية يجعلنا ندرك أهمية الإنسان فيها فلو نظرنا إلى مقومات الاقتصاد كوسائل الإنتاج، والإطارات الفنية ، ورؤوس الأموال...، فإنه سيتبين لنا أن هذه العوامل كلها وكلما كانت درجة تعقدها هي في مرحلة أولى نتيجة الإنسانية الأولية، بل إن فعالية العوامل الاقتصادية مرتبطة بمدى فعالية الإنسان ووسطه الاجتماعي.

ولتأكيد هذه الحقيقة سيتعرض مالك بن نبي بالتحليل والموازنة لتجربتين كانت إحداهما بألمانيا والأخرى بأندونيسيا فقد نجحت التجربة الألمانية في البناء بعدما فقدته من كل مقوماتها الاقتصادية وبنيتها التحتية خلال الحرب العالمية الثانية، بينما فشلت التجربة الاندونيسية رغم ما أتيح لها من خبرة فنية وما وفر لها من وسائل مادية وإمكانات بشرية، وثروات طبيعية أي كل ضمانات النجاح، هنا يخلص مالك بن نبي إلى أن التجربة الألمانية نجحت لأنها تصرفت في وسائل وقيم إنسانية تتسم بالفعالية والحركية التي امتصها من وسطها الثقافي،"إن من أعاد بناء ألمانيا هو الروح الألمانية روح الراعي والفلاح، والعامل والحمال، والموظف والصيدلي والفنان والأستاذ، وبكلمة واحدة أن الثقافة الألمانية هي التي أعادت بناء بلد غوته وبسمارك الثاني[2]"، "إن الإنسان معادلة اجتماعية صاغها التاريخ وأودع فيها خلاصة تجارب سابقة وعادات ثابتة تحدد موقف الفرد

---

[1]. مريم أحمد مصطفى عبد المجيد، التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987)، ص 93.

[2]. مالك بن نبي، تأملات، ط2(الجزائر: دار الفكر، 1991)، ص 25.

أمام المشكلات بما يكون هذا الموقف من القوة أو الوهن من الاهتمام أو التهاون من الضبط أو عدم الضبط[1]"، فالمسألة إذن ليست تكديس قيم أو نقل معايير من حقول ثقافية أخرى ....فان الحضارة التي نستورد منها هذه الأشياء...،لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية[2]".

إن الإنسان هو محور التنمية وهدفها فإن كل الجهود للفكاك من التخلف ينبغي أن يتأسس على هذا الفهم، أن تبث فيه قيم الفعالية والحرية لينسجم مع ضرورات التحضر.

9.مكونات التنمية الاجتماعية في ظل مقاصد الشريعة:

كتب طه جابر العلواني في تقديمه لكتاب إسماعيل الحسني تحت عنوان: "نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور":" أنه لكي تأخذ الدراسات المقاصدية مداها المنهجي وتصبح جزء من المحددات المنهجية والمعرفية، وتؤدي دورها في معالجة الأزمة الفكرية، لا بد من التركيز على المقاصد الكلية للرسالة الخاتمة والشريعة التي جاءت بها، حيث أن المقاصد الجزئية ستبقي الفكر الإسلامي المقاصدي حبيس الدائرة الفقهية التقنينية التي مهما اتسعت فستبقى ضيقة، ومهما عممت فستبقى خاصة بتلك الدائرة، وبالتالي فإن النظر الجزئي لن يتأثر كثيرا ولن يتخلى عن مواقعه في الفكر الإسلامي كله، لا الفقه الإسلامي وحده، إلا إذا حصل الوعي على المقاصد الكلية وأمكن التعامل معها باعتبارها محددات منهجية تضبط مع بقية حلقات المنهج الحركة الفكرية والمعرفية الإسلامية، وتتحول إلى جزء من نظام منطقي إسلامي يضبط حركة الفكر الإسلامي كله لا الفقه الإسلامي وحده ويعصمها من الوقوع في الخطأ أو الانحراف[3]"، وفي نفس السياق بسط الريسوني في كتابه "الفكر المقاصدي"هذا الموضوع في قوله:"فائدة المقاصد لا تنحصر في الاجتهاد والمجتهدين، بل يمكن تحصيلها لكل من تشبع بها أو تزود بنصيب منها، وتكون فائدته بقدر علمه وفهمه لمقاصد الشريعة، وبقدر اعتماده لها واعتماده عليها في فكره ونظره[4]"، فالمقاصد بأسسها ومراميها، وبكلياتها مع جزئياتها، وبأقسامها ومراتبها، وبمسالكها ووسائلها، تشكل منهجا متميزا للفكر والنظر، والتحليل والتقويم، والاستنتاج والتركيب.

وأول ما يستفيده الفكر والمفكرون من منهج المقاصد هو أن يكون فكرا قاصدا، وهذا يقودنا إلى ما توفره الثقافة المقاصدية من عقلية ترتيبية أولوية للمصالح والمفاسد ولكافة الشؤون،

---

[1].مالك بن نبي، من أجل التغيير، ترجمة بسام بركة، عمر مسقاوي (دمشق: دار الفكر، 1998)، ص 25.

[2].الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1(بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2006)، ص ص 251، 252.

[3] . جمال الدين عطية ، نحو تفعيل مقاصد الشريعة (الجزائر : دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، ص274.

[4] . جمال الدين عطية ، المرجع السابق ، ص 275.

وهو ما يفتقده كثير من المنظرين والمفكرين، مما ورث الكثير من الخلل والتخلف والعجز، والابتعاد عن تحديد الأهداف وغياب ذهنية المراجعة والنقد والتقويم.

والمقصد العام للشريعة الإسلامية كما قرره علال الفاسي غير بعيد عما نص عليه ابن عاشور وغيره، "هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع[1]" .

وفي ظل هذه العقلية المقاصدية ومن خلال كتابات العلماء المسلمين كالشاطبي والغزالي وابن خلدون وغيرهم أن التنمية الاجتماعية في المجتمع المسلم لها ثلاث مكونات هي: الضروريات والحاجيات والتحسينيات،"ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة[2]"، ويشمل المكون الأول من مكونات التنمية الاجتماعية خمس كليات هي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ويمكن تعريف هذه الكليات بأنها:"هي ما لا بد منها لحفظ نظام المكلفين في حالي الانفراد والاجتماع، ويتحقق حفظ هذا النظام بحفظ أركانه الخمسة التي هي قوام ماهيته[3]"، وسميت بالكليات لأن عدم حفظ واحدة منها يؤدي إلى الإخلال بأمن واستقرار وازدهار المجتمع، أي أن الحديث عن تنمية المجتمع المسلم واستقراره وسعادة أفراده يتطلب توجيه موارده للحفاظ على هذه المكونات الثلاثة، مع إعطاء الأولوية للحفاظ على الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيات[4]، أما مفهوم التنمية الاجتماعية في الفكر المعاصر فيعبر عنه بتلك النشاطات الاقتصادية التي تقوم بها الدولة في مجالات الخدمات الاجتماعية كتقديم الإعانات النقدية، وتوفير الرعاية الصحية ونشر التعليم، وتقديم الغذاء والمأوى وغيرهما من الخدمات الاجتماعية التي تهدف إلى تحقيق الكفاءة في توجيه الموارد والعدالة في توزيعها، مع توافر الإمكانات الإدارية لتحقيق ذلك[5].

---

[1].أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، تقديم طه جابر العلواني، ط4 (الرياض:الدار العالمية للكتب الإسلامي،1995)، ص19.

[2] . الغزالي أبوحامد ، المستصفى من علم الأصول، تقديم محمد سليمان الأشقر، ط1 (بيروت مؤسسة الرسالة، 1997)، ص 287.

[3]. مخلوف سوابعة ، "مقاصد الشريعة عند ابن عاشور". رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر، 1996)، ص 148.

[4] يوسف خليفة اليوسف، المرجع السابق ، ص 555.

[5] .يوسف خليفة اليوسف، المرجع السابق، ص 548.

ولما كانت حقيقة التكليف لا تتصور إلا بوجود المكلف وهو الإنسان المكلف العاقل، ووصول الدعوة إليه، فإن نظام العالم الذي جاءت الشريعة لحفظه وإصلاحه يتقوم بمايلي[1]:

-وجود الإنسان ويعبر عنه بالنفس .

-وأن يكون بالغا عاقلا، وإنما البلوغ علامة العقل.

-ووصول الدعوة إليه، ويعبر عن هذا الركن بالدين.

-واستمرار الذات إلى الأجل المحتوم لكل فرد، ويتم ذلك بتناول ما يحفظ حياته من موجودات هذا العالم، ويعبر عنها بالمال.

-واستمرار النوع، وقد نيط ذلك بسنة التوالد المودعة في فطرة الإنسان، ويعبر عنها بالنسل.

ولو فقد بعضها فضلا عن جميعها لاختل نظام العالم قطعا، فانقطاع التكليف مع استمرار الحياة، يكون في حال فقد الدين أو العقل، وانقطاع الحياة نفسها ويتصور ذلك في حال فقد نوع الإنسان سواء بانقطاع حياته رأسا، أو بانقطاع النسل أو المال.

و لتجنب الخلط بين المصالح الضرورية والكليات الخمسة، تجدر الإشارة أن المصالح الضرورية ليست خمسا، وليس من التحقيق تقييدها بعدد أصلا، لأن بعض أحوال العالم المقصود بالحفظ متغيرة، وبالتالي تعرض له ضرورات وترتفع عنه أخرى.

ويمكن التمثيل للمصالح الضرورية بمايلي[2]:

- من ضروريات الدين: الإيمان، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاجتهاد في طلب مراد الشارع من قبل العلماء المؤهلين له، المنع من الردة.
- من ضروريات النفس: تناول الطعام والشراب، العمل، تحريم القتل.
- من ضروريات العقل: الاجتهاد في طلب العلم، العلم بكل تكليف تعلق بذمة المكلف، تحريم المسكرات والمخدرات .
- من ضروريات النسل: مشروعية النكاح، حفظ النسب .
- من ضروريات المال: مشروعية المعاملات المالية المختلفة بين الناس، تحريم السرقة والغصب.

والمحافظة على الدين تكون بحماية العقائد من الدعايات الهادمة، والانحلال الديني[3]، ومن البدع والخرافات، وهذه المفاسد بصورة عامة تتمثل في تعدد الاعتقادات (هدم الدين)، وتعليم

---

[1]. مخلوف سوابعة ، المرجع السابق، ص 145.

[2]. مخلوف سوابعة ، المرجع السابق، ص 149.

[3]. محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع (القاهرة: دار الفكر العربي، 1965)، ص 60.

الأفراد تكاليف الدين وما فرضه الله عليهم، بما يمكنهم من الوصول إلى الإيمان الصادق، وتيسير أداء العبادات، وتقوية الروابط الاجتماعية وتوثيقها بين أفراد المجتمع، والدعوة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال العبد وأفعاله، والنهي عما تميل إليه النفس والشهوة.

والمحافظة على النفس هي المحافظة على حياتها بمنع الاعتداء على النفس، والحفاظ عليها منذ بدء تكوينها، بمراعاة أحكام الزواج من نفقة، ورضاعة وحضانة[1]، ومن المحافظة على النسل بتربية الأجيال على التآلف الاجتماعي، ومراعاة حق الغير، بحيث تكون هذه الأجيال قوية دينيا وجسميا وعقليا نفسيا واجتماعيا، ومن المحافظة على النفس أيضا حرية العمل وحرية اختيار العمل [2].

والمحافظة على العقل بحمايته من أن يعرض للآفات كالمسكرات والمخدرات، وكل ما من شأنه أن يؤثر على العقل تأثيرها، فبالإضافة إلى أنها تفسد العقول في المجتمع فهي تقطع حبال المودة فيه[3]، ومعاونة طلاب العلم وتشجيعهم على الاستزادة في طلب العلم، الذي من شأنه أن يقوي الإيمان بالله ويزيد من خشيته، لقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"، (فاطر، الآية 28).

والمحافظة على النسل بمنع الاعتداء على الأعراض سواء بارتكاب فاحشة الزنا أم كان بالقذف بالزنا، وبمنع كل ما من شأنه إضعاف التماسك الأسري والاجتماعي، والاعتداء على المحارم، ومن المحافظة على النسل تحريم تحديد النسل، وجواز تنظيمه، والحث على الزواج وتيسيره[4]، ليكون منه التوالد الذي يمنع فناء الجنس البشري.

والمحافظة على المال بمنع الاعتداء عليه بالسرقة أو الغصب، وأكل أموال الناس بالباطل، ومنع الرشوة والنصب والاحتيال[5]، ومنع التعدي على الملكية التي تشيع الفوضى بين الناس، ومن المحافظة على المال حمايته وتنميته، بالمحافظة على الإنتاج بما يثمر ويزيد في ثروة الجماعة والأفراد بما يتوافق مع الشرع.

هذه المصالح اعتبرها الإسلام غاية من غايات الاجتماع الإنساني الفاضل، والتنمية الاجتماعية وفقا لهذا التصور هي حفظ مصالح العباد في حالي الانفراد والاجتماع، وإن اختلال

---

[1]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق ، ص93.
[2]. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 57.
[3]. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 58.
[4]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ ، المرجع السابق ، ص94.
[5]. محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 60.

تحقيق هذه المصالح الضرورية يجعل الحياة الاجتماعية محل صراع وتفشي لمظاهر الجشع المادي واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وهو ما تعرفه الحياة الاجتماعية المعاصرة، نتيجة انخرام نظام التكليف وأصبحت حياتها شبيهة بحياة الأنعام، "ولست أعني باختلال نظام الأمة هلاكها واضمحلالها، لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم في الوثنية والهمجية، ولكني أعني به أن تصير أحوال الأمة شبيهة بحياة الأنعام، بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها[1]".

[1]. مخلوف سوابعة ، المرجع السابق، ص 149.

الفصل الرابع: القيم الإسلامية

1. تعريف القيم الإسلامية
2. منظومة القيم الإسلامية
3. خصائص القيم الإسلامية
4. تصنيف القيم الإسلامية
5. نماذج من القيم الإسلامية

1.5. العفة

2.5. صلة الرحم

3.5. الإيثار

4.5. الأخوة

5.5. البر

6.5. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من خلال ما تقدم عرضه من وجهات نظر حول موضوع القيم سواء في الدراسات الفلسفية أو النفسية أو الاجتماعية في الفكر الغربي، ورغم اختلاف مجالات اهتمامها إلا أنها تجمع على أن مصدر القيم هي الخبرة الإنسانية، من منطلق الاعتقاد أن مصدر المعرفة هو الكون أو المادة، من خلال ما يعبر عنه من مفاهيم متداولة في الفكر الغربي، كمفهوم الطبيعة أو المادة أو الحس والتجربة...الخ، لذلك فالاختلاف بين هذا التصور الغربي (المادي) حول موضوع القيم والتصور الإسلامي هو اختلاف جوهري، لأنه تباين من حيث منطلق التفكير ومصدر المعرفة.

كما تميزت آراء الباحثين في محاولة الإحاطة بموضوع القيم الإسلامية بين السطحية والعمق، ويتجسد ذلك في التعريفات التي قدموها حول هذا المفهوم، أما من حيث المصدر فإن كل هذه الآراء تجمع على أن مصدر القيم الإسلامية الوحيد هو الله.

1. تعريف القيم الإسلامية :

- القيم الإسلامية عبارة عن "مكون نفسي معرفي عقلي ووجداني وأدائي يوجه السلوك ويدفعه، ولكنه إلهي المصدر، ويهدف إلى إرضاء الله تعالى[1]".

- "هي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي اقتضاها الشرع، محددا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك[2]".

- "مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل، وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالا وتفصيلا مع الله تعالى ومع نفسه، ومع البشر ومع الكون، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل[3]".

- "مجموعة من المبادئ والقواعد التي تعمل كمنطلقات وموجهات لسلوك الإنسان ومرجعيات يتم من خلالها الحكم على الأفكار والأشخاص والأشياء والتصرفات، مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، منها ما هو قطعي في دلالته، ومنها ما هو ظني تختلف الأفهام حوله، ويمكن قياسها والتعرف عليها من خلال الأداء والسلوك[4]".

---

[1]. ماجد زكي الجلاد ، تعلم القيم وتعليمها : تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم ،ط2 (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007)، ص55.

[2]. ماجد زكي الجلاد، المرجع السابق، ص55.

[3]. ماجد زكي الجلاد، المرجع السابق ، ص55.

[4].محمود عطا حسين عقل ، القيم السلوكية، ط2(الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2006)، ص68.

- "إنها المعتقدات والأحكام التي مصدرها القرآن والسنة يتمثلها ويلتزم بها الإنسان المسلم، ومن ثم يتحدد في ضوئها علاقته بربه، واتجاهه نحو حياته في الآخرة، كما يتحدد موقفه من بيئته الإنسانية والمادية، وهي معايير يتقبلها ويلتزم بها المجتمع المسلم وأعضاؤه من الأفراد المسلمين وهي تشكل وجدانهم وتوجه سلوكهم مدى حياتهم[1]".

إن هذه التعاريف أسست مفهومها للقيم الإسلامية على بعدين، يتمثل الأول في البعد السلوكي، والبعد الثاني يتمثل في الحكم الشرعي الذي يحكم هذا السلوك من حيث كونه حسنا أو قبيحا، كما يتضح من خلال هذه التعاريف كذلك اختلاف الباحثين حول تحديد إطار القيم الإسلامية، بين من يحصرها في مجال الأخلاق الإسلامية، وبين من يعتبرها مرادفة لمفهوم الإسلام ذاته، وبالتالي شمل موضوع القيم كل ما يتعلق بعلاقات الإنسان اتجاه خالقه ومجتمعه والكون، بمعنى أنها شاملة لكل مناحي الحياة، وما يعبر عن عمق القيم الإسلامية في النفوس هو مدى تحكمها في كل ما يصدر عن الإنسان الذي يؤمن بها من تصرفات تربطه بالله عزوجل والكون، وهو ما يتناوله التعريف الآتي:"هي مجموعة من المبادئ والقواعد والمثل التي نزل بها الوحي، ويؤمن بها الإنسان ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله عز وجل والكون [2]".

2. منظومة القيم الإسلامية :

القيم الإسلامية مرتبطة بالعقيدة الإسلامية، ودوافع الالتزام بالقيم الإسلامية أمر يكمن بمدى عمق العقيدة الإسلامية في النفس، ولذلك فالقيم الإسلامية تنبثق من العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد، الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، والمقصود هنا بالتوحيد توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، بينما المقصود من توحيد الربوبية الإقرار بأن الله وحده خالق كل شيء وهو ما أقره المشركون من العرب، كما جاء في القرآن الكريم :"ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله" سورة لقمان الآية 25، وكذلك كان حال الأمم السالفة من المشركين الذين كذبوا بالرسل، فلقد كانوا مقرين بالصانع وأنه ليس للعالم صانعان ولكن اتخذوا لهم شفعاء مثل (الكوكب، الأصنام، الملائكة، الجن)، كما أخبر عنهم تعالى بقوله :"والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" سورة

---

1. نورهان منير مرسي، المرجع السابق، ص68.
2. نورهان منير مرسي، المرجع السابق، ص68.

الزمر الآية 3، وهناك جانب قيمي للتوحيد يظهره إسماعيل راجي الفاروقي في كتابه "إعادة البناء الإسلامي والسلطة السياسية" بقوله:"إنه عند تأكيدنا أنه لا إله إلا الله، نعني أن الإيمان بالله هو القيمة المفردة والنهائية، وأن كل شيء آخر يعتبر أداة تتوقف قيمتها على الله سبحانه، ويقاس بتحقيقها الخير الإلهي النهائي، ويعني أن الله هو الغاية النهائية لجميع المطالب، وأن كل ما هو موجود في الكون يجب أن يماثل نفسه مع إرادة الله، وبمقتضى هذا فإن الإنسان يعد بمثابة العبد الذي يجب أن يجند كل أعماله وقدراته لخدمة دين الله أو تحقيق الإرادة الإلهية، إن التوحيد يعبر عن ثلاثة معان على المستوى القيمي، المعنى الأول: أن الخليقة هي الشيء المادي الذي يجب يتحقق فيه الكمال المتمثل في الإرادة الإلهية، ولذلك فإن كل عنصر من عناصر الخليقة يتسم بالصلاح، وأن الكون لم يخلق على أفضل صورة فحسب، بل إنه خال من النقائص ويتسم بالكمال، ونتيجة لذلك فإن التمتع بقيمه الجوهرية أو النفعية لا يعتبر ذنبا، فالحياة التي تتمثل فيها جميع القيم تعتبر أثرا من آثار الله، ويتوقف الاحتفاظ بها وتدعيمها على أفعال الإنسان المتمثلة في التسبيح لله وعبادته، وتغرس القيم الكونية السامية في كل فرد باعتبارها أداة للتوصل إلى الحقيقة المطلقة، وعلى عكس ذلك نجد أن المسيحية قد انتقصت من قدر الحياة الدنيا بتصويرها إياها بأنها تتكون من مجرد كائنات حية، وأن كل البشرية تعد مجموعة هائلة من الآثام وأنه لن يأتي أبدا الزمان والمكان عندما تتوصل للحقيقة المطلقة، أما المعنى الثاني: فهو أن الإنسان لا يقع في مأزق إلا ويستطيع أن يخرج نفسه منه، فاعتبارات مثل كون طريق الإنسان مليئا بالعقبات، وأن الإنسان يميل إلى الانقياد التام لأنانيته، أو أن يتخذ أسهل الطرق التي تؤدي إلى تحقيق المتعة والشعور بالنشاط، تعد جميعها حقائق، ولكنها ليست بأكثر واقعية من نقائضها، ولذلك فإن الإنسان ليس بحاجة إلى منقذ، أو مسيح أو خلاص، ولكنه في حاجة إلى أن يكرس نفسه لأداء واجبه في الحياة، وأن يقيس كفاءته بصورة مباشرة بمقدار منجزاته، ولذلك فإن الإسلام-باختلافه عن المسيحية- يدعوا الناس للسعادة العظيمة بدلا من الخلاص، ويعدهم بالأجر في الحياة الدنيا والآخرة بما يتناسب مع أعمالهم، أما المعنى الثالث للتوحيد على المستوى القيمي فهو أنه نظرا لأن الخير الذي يجب تحقيقه يتمثل في الإرادة الإلهية، ونظرا لأن الإرادة الإلهية -بمقتضى كونها إرادة الخالق- تعتبر واحدة بالنسبة لجميع المخلوقات ويجب عليهم جميعا الالتزام بها، فإنه ليس من الممكن أن تكون هناك تفرقة بين الأماكن والأشخاص باعتبارهم القائمين بالفعل الأخلاقي[1]". فالإسلام دين القيم

[1]. عفاف بنت إبراهيم بن الدباغ، المرجع السابق، ص ص 79،80.

العليا والمثل السامية، ورسالته رسالة القيم الإنسانية، التي تتسم بالربانية والشمول والثبات والتوازن والعالمية، وتعاليمه ما جاءت إلا لتكون الإنسان الذي يتمثل هذه القيم كالتوحيد، التكافل، العمل الصالح، العدالة، العمران، العلم...، وغيرها من سلسلة القيم التي لا يمكن حصرها فالقيم الإسلامية جاءت شاملة لكل جوانب الحياة المادية والروحية، والمجتمع إذا آمن بها واحتكم إليها تحقق لـــه السعادة والأمن والرخاء.

ويعبر السلوك القويم عن مدى عمق القيم الإسلامية لدى الإنسان المسلم، وهو أمر ينبع من خلال تفعيل القناعات الدينية الصحيحة في توجيه السلوك الإنساني، وإحياء الشعور بالواجب[1]، واستشعار الرقابة الإلهية ومسؤولية الجزاء الأخروي.

3. خصائص القيم الإسلامية :

ولما كانت القيم الإسلامية إلهية المصدر فإن لها مجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من القيم، حيث يمكن حصرها فيمايلي[2]:

أ- **الثبات:** القيم الإسلامية ليست نسبية فهي لا ترتبط بالمصالح والأهواء الشخصية للأفراد.

ب- **الشمولية:** القيم الإسلامية شاملة لجميع شؤون الحياة الإنسانية، وتـــنظم جميـــع علاقـــات الإنسان، بالله عزوجل والكون.

ج- **الواقعية:** تستجيب القيم الإسلامية للفطرة الإنسانية، وتحقق في مجموعها توازنا بين مطالب المادة والروح، وبين مطالب الفرد والمجتمع وبين مطالب الدنيا والآخرة، قال تعالى"وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك".القصـــص،الآية 77، ويؤكد محمد عبد الله دراز مسألة واقعية القيم الإسلامية عندما يشير إلى أنها جـــاءت في القـــرآن الكريم مشروطة بأمرين[3]:

-أن النشاط الذي تستهدفه القيم يجب أن يكون خاضعا لإرادة الإنسان .

-أن يكون هذا النشاط متاحا في واقع الحياة المحسوسة، أي يمكن ممارسته.

د- **الإتساق:** إن للقيم الإسلامية خاصية هامة والتي من خلالها تتأكد مدى تميز المنظومة القيمية الإسلامية عن غيرها من المنظومات القيمية في المجتمعات غير الإسلامية، وهو أنها ترتبط ببعضـــها

---

[1]. ماهر أبو المعاطي علي ، نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي ،دورية "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية : المنهج والمجالات"(القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1997)، ص 160.

[2]. محمود عطا حسين عقل، المرجع السابق، ص ص 69،70.

[3]. عبد الله محمد دراز ، دستور الأخلاق في القرآن (الكويت: مؤسسة الرسالة ، 1982)، ص 87.

البعض وتتفاعل فيما بينها ولا يمكن الفصل بينها، فالإيمان بالله يستلزم طلب العلم النافع، وقيم العلم النافع تعزز الإيمان بالله، وقيمة الإيمان بالله تستلزم العمل الصالح، وبالتالي تتساند جميع القيم داخل إطار العقيدة الواحدة، فالقيم في المنظومة القيمية الإسلامية ملزمة لبعضها البعض، فهي مترابطة متماسكة يأخذ بعضها برقاب بعض.

وتجدر الإشارة إلى أن القيم الإسلامية من خلال الخصائص السابقة أنها قيم عليا وليست فقط قيم إيجابية، كما لا يمكن اعتبار مبدأ الاستهجان أو الاستحسان هو ميزان القيم الإسلامية، لأنه لا يمكن استهجان القيم الإسلامية، كما أنه ليس كل ما يعتقده أو يؤمن به الأفراد والمجتمعات من مثل ومبادئ وقواعد تعد قيما أي ترقى إلى مرتبة القيم، ما لم تكن نابعة عن العقيدة الصحيحة التي أساسها التوحيد الخالص.

4. تصنيف القيم الإسلامية :

من خلال التعاريف السابقة للقيم الإسلامية يمكن تحديد مجموعة من التصنيفات للقيم الإسلامية، حسب تصور كل باحث للقيم الإسلامية، فمحمد عبد الله دراز يعتبر مفهوم القيم الإسلامية مرادف لمفهوم السلوك، وأن سلوك الإنسان المكلف لا يخرج من أن يقع ضمن إحدى الأحكام الشرعية، انطلاقا من أقسامه الخمسة (الفرض، المندوب، المباح، الحرام، المكروه)، وبالتالي فالقيم الإسلامية بدورها تنقسم من خلال ذلك إلى المراتب الآتية[1]:

أ. قيم مندوبة (قيم مرغوب فيها): التي يجب الالتزام بها مع عدم التقصير فيها (القيم المفروضة)، وقيم ايجابية من غير إلزام.

ب. قيم مكروهة (قيم مرغوب عنها): وهي قيم منهي عنها (قيم محرمة) التي يلزم الابتعاد عنها، وقيم حث الشرع على الابتعاد عنها من غير إلزام.

ج. قيم مباحة: حيث يترك فيها الخيار مفتوحا للفرد بين الفعل والترك.

تصنيف فاروق الدسوقي الذي يعتبر القيم الإسلامية بأنها ثابتة ومطلقة،كما هو الشأن في المنظور الفلسفي من أن القيم تنقسم إلى ثلاثة أقسام تنضوي تحتها شتى المعاني التي تضبط مسالك الإنسان في حياته، ويحددها في ثلاث قيم[2]:

---

[1]. عبد الله محمد دراز ، المرجع السابق ، ص17.

[2]. فاروق الدسوقي ، مقومات المجتمع المسلم، ط 2 (بيروت: المكتب الإسلامي ،1986)، ص 25.

– الحق: هو القيمة العليا التي تنبثق من عقيدة الإسلام باعتبارها التعبير الإلهي عن الواقع الكوني، والحق اسم من أسماء الله عزوجل،ومن ثم لا تعلو قيمة في الإسلام على الحق.

– الخير: هو القيمة العملية المنبثقة من شريعة الإسلام، ولكن مفهوم الخير يخضع للحق باعتباره القيمة الأعلى والأثبت.

– العدل: قيمة ثابتة أيضا في الحياة الإسلامية تنبثق من الحق والخير، ويتبع هذا سائر القيم الخلقية من أمانة وصدق ووفاء ورحمة ومودة وإحسان وبر، فكلها تهدف إلى الخير وتحققه وتقوم على الحق.

أما **محمود عطا حسين عقل** فيصنف القيم الإسلامية إلى عدة مجالات، كما هو الحال عند كل من الهاشمي وفاروق عبد السلام كمايلي[1]:

أ. مجال العقيدة: ويشمل القيم الإيمانية وقيم العبادات والمعاملات يدين بها الفرد ويحرص على أدائها.

ب. مجال علاقة الفرد بغيره من البشر: وتشمل قيم التعامل مع الآخرين من صدق القول والعمل والعفة وصلة الرحم والإيثار وغيرها.

ج. مجال علاقة الإنسان بالكون: وتشمل القيم العلمية من التفكير والتدبير والتخطيط، والعمل وغيرها. حيث تعد هذه المجالات الثلاث مرتبطة ببعضها البعض في وحدة عضوية.

تصنيف الهاشمي وفاروق عبد السلام للقيم الإسلامية :

– قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع ربه.

– قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع نفسه.

– قيم متصلة بعلاقة الإنسان مع الآخرين.

ويرى المغربي أن هناك نوعين من القيم الإسلامية كمايلي:

– قيم أساسية: وهي قيم راسخة لا تتغير نشأت على أساس التعاليم الدينية التي مصدرها القرآن والسنة، والعبث فيها يؤدي بالضرورة إلى نسخ أحكام دينية، وهي قيم حاكمة وتتمثل في قيم التوحيد والقيم المتعلقة بالصلاة والأمانة والمساواة والعدالة.

– قيم ثانوية: وهي قيم من صنع الإنسان سواء ما يقوم منها في المجتمع أو بيئة العمل، وبالإمكان تحويلها وتغييرها لأنها من صنع الواقع الاجتماعي والثقافي، غير أنه من المؤكد أن مصدر القيم

---

[1]. محمود عطا حسين عقل، المرجع السابق ، ص75.

الإسلامية هو الوحي، ولا يمكن للواقع الاجتماعي أن ينتج قيما ما لم يكن واقعا اجتماعيا إسلاميا بحتا.

أما أبو العينين فقد صنف القيم الإسلامية إلى[1]:

- قيم روحية وعقدية كقيم الإيمان بالله وقيم الجهاد في سبيله.
- قيم خلقية كقيم العدل وقيم الأمانة وقيم الصدق.
- قيم عقلية تتعلق بقيم المعرفة مثل قيم التفكير وقيم التخطيط.
- قيم وجدانية مثل قيم ضبط النفس وقيم الحب.
- قيم اجتماعية مثل قيم بر الوالدين وقيم الإحسان للجيران.
- قيم مادية مثل قيم ترشيد الاستهلاك وقيم الاعتناء بالجسم.
- قيم جمالية مثل قيم الجمال وقيم النظافة وقيم النظام.

أما الفرحان فرأى أن هناك منظومة خماسية للقيم الإسلامية تتكون من:

أ. قيم الإيمان بالله: وهي القيمة العليا في الإسلام، ويتشعب منها القيم المتعلقة بالعقائد والعبادات والمعاملات، وتأتي هذه القيم على رأس هذه المنظومة.

ب. قيم العلم النافع: وتتمثل في استخدام العقل في التفكير والتدبير واستخدام المنهج العلمي في كشف الحقيقة والكون، ويرى أن الإيمان بالله يستلزم طلب العلم النافع، وأن الأخير يعزز الإيمان بالله.

ج. قيم العمل الصالح: وتتمثل في إتقان العمل والاجتهاد فيه،وهو ثمرة من ثمرات الإيمان.

د. قيم الخلق الحسن: وتتمثل في حسن التعامل مع الآخرين، والإيثار والمصلحة العامة، وحب الآخرين وقيم التسامح وبر الوالدين والإحسان والصبر على الشدائد...الخ، فمكارم الأخلاق قيم عليا مرتبطة مباشرة بقيم الإيمان الصادق، كما أن الخلق الكريم ينمي روح التعاون والتكافل والتراحم بين الناس.

ه. قيم التعاون الجماعي: وتتمثل في التعاون بين الناس على البر والتقوى ودرء المصائب، والوقوف مع الآخرين، والعمل المؤسسي المشترك الذي يساعد على إطلاق الطاقات وتحريرها...الخ.

وقد صنف سيد قطب القيم بصفة عامة إلى قسمين هي : قيم إنسانية وقيم مادية جاهلية، من خلال تصنيفه للمجتمعات البشرية، فمجتمع يطبق فيه الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاما

---

[1]. محمود عطا حسين عقل، المرجع السابق ، ص ص76 ، 77.

وخلقا وسلوكا، ومجتمع جاهلي لا تحكمه عقيدة الإسلام وتصوراتها وقيمها وموازينها وشرائعها وأخلاقها وسلوكياتها، وبالتالي تكون إنسانية الإنسان في المجتمع الإسلامي هي القيمة العليا، وتكون الخصائص الإنسانية هي موضع التكريم والاعتبار، أما المجتمع الجاهلي فهو الذي تكون فيه المادة هي القيمة العليا[1].

هذا وقد كتب عن القيم الإسلامية تحت مسميات مختلفة مثل المبادئ أو الأسس أو المقومات التي يقوم عليها المجتمع المسلم، فعلى سبيل المثال يرى مصطفى عبد الواحد أن أهم مبادئ المجتمع المسلم هي[2]: الأخوة العامة ،المساواة ، الحرية ، التكافل، التي ذكرها **محمود شلتوت** بالإضافة إلى الشورى والعدل[3]، بينما يختلف رأي محمد تقي المدرسي عن الآراء السابقة، حيث أخذ بقيمة واحدة فقط هي التقوى، ويرى أنها محور المجتمع الإسلامي والركيزة الأساسية له، وأن العدالة ما هي إلا إحدى إفرازات التقوى[4]، أما سيد قطب فقد تميز بتركيزه على ما يفرق المجتمع المسلم عن المجتمعات الأخرى، وهو إيمانه بأن الحاكمية لله وحده، فهو الذي يشرع وحده، أما المجتمعات الأخرى فإن الإنسان يشرع لنفسه، وقد حدد الأسس التي تقوم عليها العدالة الاجتماعية في التحرر الوجداني،والمساواة والتكافل الاجتماعي[5]، ويؤكد أبوالاعلى المودودي في هذا الصدد على القول بأن الإسلام فيه عدالة اجتماعية قول فيه نقص كبير، والصحيح أن الإسلام هو العدل بعينه، فتطبيق الإسلام وإقامة العدل شيء واحد[6].

ومن الملاحظ أن هناك تداخلا كبيرا بين المعاني التي تحملها مسميات تلك القيم، فمثلا الأخوة والتكافل، فالأخوة تستوجب التكافل فيمكن النظر إلى التكافل كجزء من الأخوة، وكذلك بالنسبة للعدل، فهناك ترابطا كبيرا بين العدل والمساواة، كما أنه يمكن إضافة بعض المبادئ الأخرى ذات الصلة الوثيقة بالتكافل والأخوة مثل الرحمة والبر، فالرحمة تستوجب التعاضد والتكافل والتعاون والرأفة بين المسلمين، وكذلك البر فإنه يتسع ليشمل كل المعاني التي جاءت بها الآية الكريمة، "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن

---

[1]. سيد قطب ، معالم في الطريق (القاهرة : دار الشروق، دون سنة نشر)، ص 112.

[2]. مصطفى عبد الواحد ، المجتمع المسلم ، ط 2 (بيروت: دار الجيل ،1974) ، ص 139.

[3]. محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ط 14(القاهرة: دار الشروق، 1987)، ص 333.

[4]. محمد تقي المدرسي ، المجتمع الإسلامي : منطلقا ته وأهدافه (بيروت:دار الجيل ،1982)، ص 66.

[5]. سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، ط6(القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، 1964)، ص 35.

[6]. أبو الأعلى المودودي ، مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة (جدة: الدار السعودية للنشر ،1985)، ص 173.

السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون" (سورة البقرة، الآية 177)، ومن خلال ما تقدم عرضه من محاولات حول تصنيف القيم الإسلامية، نجد أنها لم تتمكن من تحديد بدقة القيم التي تختص بها العقيدة الإسلامية -باعتبارها مصدر لها وتتميز بها- عن غيرها العقائد.

5.نماذج من القيم الإسلامية :

إن مرجعية القيم الإسلامية هو كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنها مذكورة فيهما ومنصوص عليهما نصا واضحا، فهي غايات لذاتها وفي الوقت نفسه وسائل لغيرها تهدف إلى تحقيق غاية، وهذه الغاية هي حياة صالحة للناس جميعا[1]، كما أن القيم الإسلامية في القرآن والسنة مترابطة متماسكة، ويذكر عدد من هذه القيم معا في آية واحدة أو في آيات متتابعة، وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكن الفصل بين القيم الإسلامية، وأن محاولة الفصل بين القيم الإسلامية هو لغرض منهجي بحت، فقيمة الأخوة، وقيمة الإيثار، وقيمة البر، وقيمة العفة، وقيمة صلة الرحم، وقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيم إسلامية متداخلة مع بعضها البعض، كما تؤكده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولأن القيم الإسلامية ترتبط بالعقيدة الإسلامية وتختص بها، فإن دوافع الالتزام بالقيم الإسلامية أمر كامن في مدى عمق الإيمان سواء لدى الفرد أو المجتمع بأن الحياة الدنيا هي ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدى والنعمة والخيرات، وأن الآخرة هو الفوز بالنعيم الدائم في الجنة، وأن من أيقن من دينه أن البعث حق، وأن الدار الآخرة هي المصير، وأن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى، وباب إلى السوأى أو الحسنى عمل لها، وقدم ما يجده فيها، فإن شك فيها، أو تكاسل عنها، وآثر عليها، واستعد لآماله، وغفل عن مآله[2]، وبهذه القناعة الدينية ما يبرر اختصاص العقيدة الإسلامية بالقيم الإسلامية التي يلي ذكرها دون غيرها من العقائد.

1.5.العفة: العفة لغة: الكف عن القبيح، يقال عف عن الحرام، أي كف، والاستعفاف طلب العفة، وقال ابن منظور العفة: الكف عما لا يحل ويجمل، والعفة أيضا النزاهة، والسؤال من الناس، والاستعفاف: طلب العفاف، وهذا معنى قوله تعالى"وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا"، (النور،

---

[1] .فهمي محمد علوان، القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989)، ص 11.

[2] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ط1 (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1998)، ص 2197.

الآية33)، والاستعفاف أيضا: الصبر والنزاهة، وقيل هي عفة الفرج، ورجل عفيف معناه عف عن المسألة والحرص، والعفيفة من النساء السيدة الخيرة[1].

والعفة اصطلاحا: قال الراغب: العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، وقال أيضا: العفة هي ضبط الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط هو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة، وقال الجاحظ: هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال، وأن يكون ما يقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرس النفس والقوة أقل منه، وهذه الحال هي غاية العفة[2].

ومن أنواع العفة، قال الماوردي: العفة والنزاهة والصيانة من شروط المروءة، والعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كف اللسان عن الأعراض، وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضا: أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة[3].

لقد امتدح المولى عزوجل الحافظين فروجهم والحافظات، وجعل ذلك من سمات الفلاح وعلامات الفوز في الدار الآخرة، فقال تعالى: "قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن الذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون"، (المؤمنون، الآيات 1-5)، وقد وعد الله هؤلاء المفلحين بقوله: "أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون"، (المؤمنون، الآيتين 10-11)، وإذا كان ذلك هو الجزاء في الآخرة، فإن أثر هذه القيمة الإسلامية المتمثلة في حفظ الفرج -وما يستلزمها من غض البصر والعفة عن المحارم- في الحياة الاجتماعية سواء على الفرد أو المجتمع يؤدي إلى تماسك بنيان المجتمع، وسلامته من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، كاختلاط الأنساب، والأمراض الصحية المهلكة كمرض الإيدز الذي انتشر في المجتمعات الفاجرة الماجنة، بصورة تؤدي إلى الخراب والدمار في الحياة الاجتماعية بصورة عامة، أما على المستوى الفردي فإن حفظ الفرج يجنب صاحبه ويلات الزنا، ولا ريب أن الإسلام قد أوضح بجلاء الطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع من هذه الآفة المهلكة والمتمثلة في الزنا، فحث على العفة والطهارة، وأمر بغض البصر ونهى عن التبرج وغلظ

---

[1] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2872.

[2] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2873.

[3] . أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا (بيروت، 1978)، ص 390.

عقوبة الزنا، وحث على الزواج لمن يقدر عليه تحصينا للفرج، وحفاظا على المجتمع، ووقاية من الانحراف، فطريقة النبي صلى الله عليه وسلم الحنيفية السمحة فإن منها التزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل[1]، ومن مقاصد الزواج ذكر الإمام الغزالي تكثير النسل وإبقاءه على أنه المقصد الأول للزواج، وجعل حفظ الفرج وكسر الشهوة المقصد الثاني[2].

أما قيمة النزاهة فقال الجرجاني: النزاهة هي عبارة عن اكتساب مال من غير مهانة ولا ظلم للغير[3]، وأضاف المناوي قيدا آخر في تعريف النزاهة هو: الإنفاق في المصارف الحميدة، فقال: النزاهة هي اكتساب المال من غير مهانة ولا ظلم، وإنفاقه في المصارف الحميدة[4].

ومن شروط العفة أن لا يكون التعفف عن الشيء انتظارا لأكثر منه أو لأنه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنه ممنوع من تناوله، أو لأنه غير عارف به لقصوره، فإن ذلك كله ليس بعفة بل هو إما اصطياد، أو تطبب أو مرض أو خرم أو عجز أو جهل، وترك ضبط النفس عن الشهوة أذم من تركها عن الغصب[5].

ومن تمام العفة أن يكون الإنسان عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عدمها في اللسان السخرية، والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب، ومن عدمها في البصر: مد العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة، ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة، وعماد عفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى.

2.5.صلة الرحم: حقيقة الصلة في هذه القيمة (صلة الرحم): العطف والرحمة، أما صلة الله تعالى لمن وصل رحمه فهي عبارة لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته، وأما الرحم فقال النووي: اختلفوا في حد الرحم التي يجب وصلها، فقيل: كل رحم محرم، وقيل: هو عام في كل رحم من ذي الأرحام في الميراث يستوي فيه المحرم وغيره،وصلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك، كما أن الصلة بر

---

1 . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 9.

2 . أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين (القاهرة: دار الشعب، دون سنة نشر)، ص 24.

3 . علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، 1980)، ص 260.

4 . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 314.

5 . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2874.

وإحسان، ويكون حسن العشرة والصحبة للأهل والولد بالمداراة، وسعة الخلق والنفس، وتمام النفقة، وتعليم الأدب والسنة، وحملهم على الطاعة، لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة"، (التحريم، الآية 6)، والصفح عن عثراتهم والغض مساوئهم في غير إثم أو معصية، قال القاضي عياض: "لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة فمنها واجب، ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلا[1]".

والبر بالوالدين الإحسان إليهما والتعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما، هو باب من أبواب صلة الرحم[2].

3.5.الإيثار: الإيثار لغة بمعنى تقديم الشيء، وهو كذلك الاختيار والتفضل[3]، واصطلاحا قال القرطبي: هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة[4]، أما درجات الإيثار فقال ابن القيم: الإيثار على درجات: الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك دينا، ولا يقطع عليك طريقا، ولا يفسد عليك وقتا، يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرى، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، وكل صلاح يعود على الإنسان بصلاح قلبه ووقته وحاله مع الله فلا يؤثر به أحدا، والثانية: إيثار رضا الله على رضا غيره وإن عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن وضعف عنه الطول والبدن، وإيثار رضا الله عز وجل على غيره: هو أن يريد ويفعل ما فيه مرضاته، ولو أغضب الخلق وهي درجة الأنبياء، وأعلاها للرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وأعلاها لأولي العزم منهم وأعلاها لنبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم، والثالثة أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك، والسخاء أعلى مراتب العطاء

---

[1] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص ص 2614، 2615.

[2] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 727.

[3] . أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1956)، ص 26.

[4] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 629.

والبذل، وهو الذي لا يصعب عليه العطاء، والجواد أن يعطي الأكثر، ويبقى له شيئا، أو مثلما أعطى، والإيثار هو أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه[1].

ومن الأسباب التي تعين على الإيثار[2]:

-تعظيم الحقوق، فإذا عظمت الحقوق عنده، قام بواجبها ورعاها حق رعايتها واستعظم إضاعتها.

-مقت الشح: فإن مقت الشح وبغضه يلزم الإيثار.

-الرغبة في مكارم الأخلاق: فالإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.

والصدقة باب من أبواب الإيثار، حيث عرفها الجرجاني: "بأنها العطية يبتغي بها المثوبة من الله تعالى[3]"، وعرفها الراغب بأنها: "ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب[4]". وبالتالي فالصدقة ما يعطى في ذات الله للفقراء، ويعتبر الماوردي الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى[5]، وقال القاضى أبو بكر بن العربي: إنما سميت الزكاة صدقة، لأنه مأخوذ من الصدق في مساواة الفعل للقول والاعتقاد[6]، وقال التهاوني: الصدقة عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة، لأن بها يظهر الصدق في العبودية، وهي أعم من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضا[7]، قال الفيروز آبادي: الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويرى الراغب كذلك أن النمو فيها ناتج من بركة الله تعالى فيقول: "أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك من الأمور الدنيوية والأخروية، يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نمو وبركة...، ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيه من رجاء البركة، أو لتزكية النفس أي تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإن الخيرين موجودان فيهما[8]، وقوله تعالى: "فلينظر أيها أزكى طعاما"، طعاما"، (الكهف، الآية 19)، هذه المادة عامة في زكاة الأموال والأبدان، وزكاة النفس وطهارتها إشارة إلى ما يكون حلالا لا يستوضح عقباه[9].

---

[1] . ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين،ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1988)، ص 303.

[2] . ابن القيم الجوزية، المرجع السابق، ص 304.

[3] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق ، ص 286.

[4] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق ، ص 287.

[5] .يوسف القرضاوي ، فقه الزكاة (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990)، ص 40.

[6] .يوسف القرضاوي ، المرجع السابق، ص 41.

[7] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2518.

[8] . الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوي، ط1 (دمشق: دار القلم، 1992)، ص 218.

[9] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2197.

4.5.الأخوة: لغة، قال بعض النحويين سمي الأخ أخا لأن قصده قصد أخيه، والأخ من النسب معروف وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن، وقد يكون الصديق والصاحب، قال الله عز وجل: "إنما المؤمنون إخوة"، (الحجرات، الآية 10)، واصطلاحا قيل: هي مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات، قال ابن حجر في قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة" يعني في التوادد وشمول الدعوة[1].

وذكر أهل التفسير أن الأخ في القرآن ورد على خمسة أوجه[2]، أحدهما الأخ من الأب والأم أو من أحدهما، ومنه قوله تعالى في سورة النساء "فإن كان له إخوة فلأمه السدس"، (الآية11)، والثاني من القبيلة، ومنه قوله تعالى: "وإلى عاد أخاهم هودا"، (الأعراف، الآية 65)، والثالث في الدين والمتابعة، ومنه قوله تعالى في آل عمران "فأصبحتم بنعمته إخوانا"، (الآية103)، والرابع في المودة والمحبة، ومنه قوله تعالى: "ونزعنا ما في قلوبهم من غل إخوانا"، (الحجر، الآية 47)، والخامس الصاحب، ومنه قوله تعالى في سورة ص "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة"، (الآية23)، وأيا كانت المعاني، فإن من طبيعة الإنسان أن يكون آلفا مألوفا ، ذلك أنه يستعين من خلال الألفة على أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف الاستخلاف، والمؤاخاة من أهم أسباب حدوث الألفة بين الناس، وإذا كان الدين هو أكبر باعث في المؤاخاة والتآخي، فإنه بذلك يعزز الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل صلاح الدنيا والحياة والمجتمع، ومن الأمور التي من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين الإخوان، النصح والتناصح، والغض عن الهفوات، ووجوب زيارتهم ومودتهم، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب بما يعين على تحقيق مقاصد الشرع الإسلامي.

5.5.البر: في اللغة يدل على معان عديدة ومن هذه المعاني الصدق والصدقة والصلاح والصلة والطاعة وحسن الخلق، فهو اسم جامع للخير، واصطلاحا قال ابن منظور: البر خير الدنيا والآخرة، فخير الدنيا ما ييسره الله تعالى للعبد من الهدي والنعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم في الجنة، جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته، وقد فسر البر بالإيمان وفسر بالتقوى، وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله، والجميع حق[3].

[1] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 317.

[2] . أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، المرجع السابق، ص 175.

[3] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 751.

والبر نوعان صلة ومعروف، فأما الصلة: فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع منه شحها وإباؤها، قال الله تعالى: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"، (الحشر، الآية 9)، وأما النوع الثاني من البر فهو المعروف: وهو أيضا نوعين: قولا وعملا، فأما القول فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتودد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع، وأما العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنفس والمعونة في النائبة، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس وإيثار الصلاح لهم، وكما قال الماوردي رحمه الله: إن البر من أسباب الألفة، لأنه يوصل إلى القلوب ألطافا يثنيها محبة وانعطافا، ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به، وقرنه بالتقوى له، فقال سبحانه تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى"، (المائدة، الآية 2)، لأن له في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس، فقد تمت سعادته وعمت نعمته[1].

أما عن وجوه استعمال البر في القرآن الكريم، فقد ورد على أوجه منها[2]:

-البر بالكسر أربعة: الأول بمعنى البار، في قوله تعالى: "ولكن البر من آمن بالله"، (البقرة، الآية177)، والثاني بمعنى الخير، في قوله تعالى: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"، (آل عمران، الآية92)، والثالث بمعنى الطاعة والخير، في قوله تعالى: "أتأمرون الناس بالبر"، (البقرة، الآية44)، والرابع بمعنى تصديق اليمين، في قوله تعالى: "ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا"، (البقرة، الآية 224) .

– وقد جاء البر أيضا في معنى صلة الرحم، في قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم"، (الممتحنة، الآية8)، أي أن تصلوا أرحامكم.

6.5.الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعروف لغة هو ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وقوله تعالى: "وصاحبهما في الدنيا معروفا"، (لقمان، الآية 5)، قال الزجاج: المعروف هنا ما يستحسن من الأفعال، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وهو ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه، أما المعروف اصطلاحا، فهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، والمنكر اصطلاحا، كل ما قبحه الشرع وحرمه ونهى عنه[3]، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحا، فالأمر بالمعروف

[1] . أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، المرجع السابق، ص 184.

[2] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 753.

[3] . أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، المرجع السابق، ص 233.

هو الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر هو المنع عن الشر[1]، ومن صور الأمر بالمعروف التعـــاون على البر والتقوى، الذي يعني أن يظاهر المسلم أخاه ويعينه في فعل الخيرات، وعلى طاعة الله عـــز وجل، وتجنب معصيته .

[1] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 525.

الفصل الخامس: عرض البيانات الميدانية وتحليلها وتفسيرها.

1. عرض البيانات الميدانية
2. استخلاص النتائج

1.عرض البيانات الميدانية:

جدول رقم 01 يبين توزيع أفراد العينة حسب السن:

السن	التكرار	النسبة المئوية
20-40	32	%64
40-60	17	%34
60 فمافوق	01	%02
المجموع	50	%100

تشير النسب الواردة في الجدول رقم 01 أن أغلبية المبحوثين تتراوح أعمارهم بين 20 و40 سنة، وهي فترة الشباب التي تعني أن المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة مجتمع فتي، وهي فترة كافية لتتيح لهم المشاركة في تسيير شؤون المجتمع الميزابي والمحافظة على نظامه الاجتماعي، من خلال العضوية في إحدى الهيئات والمؤسسات الدينية والاجتماعية التي يتكون منها النظام الاجتماعي الميزابي، بعدما يكون قد مر على مختلف مراحل التكوين الديني، في مختلف المدارس والمعاهد الدينية التي أنشأها الميزابيون في كل المدن التي يقيمون بها، أما نسبة 34% من العينة فإن أعمارهم تتراوح بين 40 و60 سنة.

والنسبة المتبقية والتي تمثل 02% من العينة والتي يتجاوز عمرها الستين عاما، فهو من أعيان البلد وأعضاء مجلس الجماعة، ولا يزال يمارسون هذه المهمة رغم هذه السن المتقدمة، التي لم تحول بينه وبين أداء مهامه على أكمل وجه، لما يملك من خبرة طويلة ورصيد كبير في تسيير شؤون المجتمع الميزابي، بما مكنه من التعامل مع مختلف المستجدات والقضايا في التي تطرأ في مجتمعه.

جدول رقم 02 يبين توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي:

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
ثانوي	10	%20
جامعي	40	%80
المجموع	50	%100

تشير النسب الواردة في الجدول رقم 02 أن أغلبية عينة البحث لديهم مستوى تعليمي جامعي وبعضهم بدرجات علمية عالية (ماجستير، دكتوراه)، وهو ما يؤكد مدى اهتمام المجتمع الميزابي بالتعليم، ويفسر الوعي الديني لدى المجتمع الميزابي، واستمرار نظامه الاجتماعي على مر الدهور، خصوصا وأن سلطته روحية معنوية[1]، أما النسبة المتبقية من العينة فمستواها التعليمي مقبول جدا لا يقل عن الثالثة ثانوي.

جدول رقم 03 يبين الوظيفة التي يشغلها أفراد العينة:

الوظيفة	التكرار	النسبة المئوية
موظف	17	%34
أعمال حرة	33	%66
المجموع	50	%100

أغلبية المبحوثين يشغلون وظائف حرة كالتجارة وهو ما تشير إليه نسبة 66% من الجدول رقم03، أما النسبة المتبقية من العينة والمتمثلة في 34 % من نفس الجدول، فهم موظفين في مختلف قطاعات الدولة سواء في ميدان التعليم (أساتذة في الأطوار التعليمية المختلفة، أساتذة جامعيون)، أو في ميدان الإدارة (محاسبة، مهندس في الإعلام الآلي...الخ)، كما أن لأغلبية هذه النسبة (34 %) بالإضافة إلى هذه الوظائف وظيفة أخرى يمارسونها تتمثل في التجارة، التي تعد النشاط الاقتصادي الأكثر استقطابا لأفراد المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة.

[1] .أتبير مصطفى داود، "المصلحة المرسلة عند الاباضية بين النظرية والتطبيق من خلال اجتهادات المتأخرين"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر، 1996)، ص 160.

جدول رقم 04 يبين الحالة العائلية لأفراد العينة:

الحالة العائلية	التكرار	النسبة المئوية
متزوج	50	%100
المجموع	50	%100

تؤكد النسب الواردة في الجدول رقم04 أن جميع المبحوثين متزوجون، رغم فتوة أعمارهم كما يشير إليه الجدول رقم 01، مما يشير إلى أن المجتمع الميزابي يولي أهمية بالغة لهذا المطلب، بتوفير كل الشروط للشباب الميزابي للزواج، انطلاقا من دفع الوالدين للأبناء للزواج، إلى التكفل بتكاليف الزواج للشباب الفقير من قبل الأهل والأقارب الأغنياء، أو مجلس العشيرة أو الجماعة بأموال الزكاة.

جدول رقم 05 يبين عدد الزوجات لدى أفراد العينة:

عدد الزوجات	التكرار	النسبة المئوية
واحدة	50	%100
المجموع	50	%100

إن تعدد الزوجات وفق ما نص عليه الشرع في الآية الصريحة، تشترط العدل بين الزوجات، وهو ما برر به المبحوثين اكتفاءهم بزوجة واحدة، خاصة من جانب القدرة على تأمين حياة كريمة لجميع أفراد الأسرة، من تعليم وعلاج ورعاية أبوية كاملة، مسكن،...الخ، وهو ما يفسر الوعي الديني للمجتمع المزابي في مجال الأسرة وأحكام الزواج، ويعود كذلك عدم تعدد الزوجات في المجتمع الميزابي إلى انتشار الزواج، نتيجة ما يوليه المجتمع الميزابي من أهمية بالغة لتحقيق هذا المطلب، والذي ساهم في حفظ المرأة الميزابية من العنوسة وتأخر سن الزواج.

جدول رقم 06 يبين عدد الأولاد لأفراد العينة:

عدد الأولاد	التكرار	النسبة المئوية
اثنين	11	%22
ثلاثة	17	%34
أربعة	12	%24
أكثر	10	%20
المجموع	50	%100

تشير النسب الواردة في الجدول رقم 06 أن أغلب المبحوثين لا يتجاوز عدد الأبناء لديهم أربعة، نتيجة فتوة أعمارهم، أما النسبة المتبقية والتي تمثل 20% فيتجاوز عدد الأبناء لديهم الخمسة، والذين هم من الفئة العمرية الأكثر من 40 سنة، الذين يعدون النسل الكثير بمثابة قوة في أيدي الأسر والعشائر في قضاء حوائجها بما فضل الله بعضهم على بعض، وعموما فالمجتمع الميزابي يكثر النسل نتيجة مكوث المرأة في البيت، فالمرأة الميزابية لا يتجاوز مستواها التعليمي الثالثة ثانوي، ولا تمارس أي نشاط خارج البيت، والذي يعد أحد الضوابط الاجتماعية في المجتمع الميزابي، حسب ما أكده شيخ الجماعة.

جدول رقم 07 العلاقة التي تربط أفراد العينة بمجلس الجماعة[1] التي تشرف على المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة:

العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
عضو بمجلس الجماعة (الضمان)	35	%70
عضو هيئة الشباب (امصوردان)	15	%30
المجموع	50	%100

70% من عينة البحث من مجلس الجماعة التي تشرف على شؤون المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة، ويعزى ذلك للدور الذي تقوم به، ولمختلف الهيئات التي تشكل هذه المجلس، ومجلس الجماعة، أو هيئة الأعيان أو العرش أو مجلس العوام، ويعرفون بالضمان، هيئة استشارية، تشكل من رؤساء العشائر، ورؤساء المحاضر، من مجموعهم تنبثق مجموعة أعيان البلد، وهي وثيقة الصلة بحلقة العزابة، منها تتلقى التوجيهات، وتتولى تنفيذ القرارات، ولا تصدر العزابة قرارها التي تمس الجوانب الاجتماعية إلا باستشارتها، وينحصر دور مجلس الجماعة في رعاية الشؤون الداخلية الخاصة بالمدينة التي تشرف عليها فقط. أما النسبة المتبقية والمتمثلة في 30% فهي تمثل هيئة الشباب التي تتشكل من العوام الذين يشتغلون بالخدمات العامة[2].

---

[1] .مجلس الجماعة (مجلس الأعيان): يتكون من مجموع رؤساء العشائر، وهم يمثلون الهيئة التنفيذية، ويكونون في الغالب من أهل الرأي والتدبير والتجربة والحكمة، يتم من خلال هذا المجلس التنسيق مع حلقة العزابة في تسيير شؤون البلدة وضبط الأمور وفرض النظام، من مظاهر هذ التنسيق وضع لوائح تنظيمية للأعراس، تتحكم في شؤون الزواج، وتساعد الفقراء ممن يرغب في الزواج وإحصان نفسه، دون أن يجد حواجز تمنعه ع ذلك.

[2]. أتبير مصطفى داود، المرجع السابق، ص 158. 159 .

جدول رقم 08 يبين كيف يعين أفراد العينة على فعل الخير:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
التبرع بالمال من غير عوض مطلوب	30	%25.64
طيب الكلام وحسن القول	50	%42.73
بذل الجاه والمساعدة بالنفس	12	%10.25
المعونة في النائبة	25	%21.36
المجموع	117	% 100

من خلال النسب الواردة في الجدول أن جميع أفراد العينة يعينون على فعل الخير بحسن القول وطيب الكلام، وهو أدنى واجب يقومون به اتجاه إخوانهم حسب تصريحات أفراد العينة، كما تشير نسبة 25.64 % من إجابات المبحوثين بالتبرع بالمال كلما سمحت لهم الفرصة من غير عوض، بتقديمها إلى أصحابها مباشرة أو إلى مجلس الجماعة الذي يتولى بدوره توزيعها على مستحقيها في مختلف المناسبات (زواج، تعليم، نائبة،...الخ)، أما نسبة 21.36 % من إجابات المبحوثين فيؤكدون أنهم لا يتوانون في فعل الخير إذا ما تعلق الأمر بمصيبة أ ونائبة حلت بأحد من إخوانهم بكل ما يستطيعون دون أدنى شرط، أما نسبة 10.25 % من إجابات المبحوثين، وهم من أعضاء الجماعة التي تشرف على شؤون المجتمع الميزابي المقيم بمدينة باتنة، فيؤكدون أنهم يستخدمون مكانتهم الاجتماعية في تقديم المساعدة لكل أفراد المجتمع الميزابي دون استثناء، ويعتبرون ذلك من واجباتهم الأخلاقية اتجاه مجتمعهم الذي يشرفون عليه.

جدول رقم09 يبين كيف يحرص أفراد العينة على عفتهم:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
كف اللسان عن الأعراض	50	%10.52
ضبط الفرج عن الحرام	50	%10.52
الزواج	50	%09.47
غض البصر	30	%06.31
الصوم	00	%00
النهي عن التبرج	50	%10.52
عدم السخرية من الناس	50	%10.52
عدم التجسس والتنابز بالألقاب	50	%10.52
عدم السماع إلى المسموعات القبيحة	50	%10.52
اكتساب المال من غير ظلم ولا مهانة	50	%10.52
الإنفاق في المصارف الحميدة	50	%10.52
المجموع	480	%100

تشير النسب الواردة في الجدول أن جميع المبحوثين يحرصون على عفتهم، بحفظ جميع جوارحهم من الوقوع في الآثام والمحرمات، فعفة السمع من خلال عدم السماع للمسموعات القبيحة، وعفة اللسان من خلال عدم السخرية من الناس، وعدم التجسس والتنابز بالألقاب، وكف اللسان عن الأعراض، عفة الفرج بضبط الفرج عن الحرام مثل الزنا وغيرها، ومن العفة كذلك الزواج تحصينا للفرج، وإعفاف للنفس، وكسر الشهوة، الذي يؤكده جميع المبحوثين، كما يؤكد جميع المبحوثين كذلك على عفتهم من خلال اكتساب المال من غير ظلم للغير ولا من ممارسة أعمال وأنشطة يحرمها الشرع الإسلامي، ومن خلال إنفاقه في المصارف الحميدة، كما يؤكد جميع المبحوثين رفضهم للتبرج ومنعه على نسائهم، وفرض الحجاب عليهن، والذي هو عبارة عن اللباس التقليدي للمرأة الميزابية (الحائك) حسب تصريحات المبحوثين.

أما بالنسبة لغض البصر كمؤشر من مؤشرات قيمة العفة فأكدت نسبة 06.31 % من إجابات المبحوثين أنهم يحاولون غض بصرهم قدر المستطاع، نتيجة الواقع الاجتماعي للمرأة غير المزابية في مدينة باتنة.

أما العفة عن طريق الصوم كوجاء لمن لم يستطع الزواج، فأكدت جميع عينة البحث أنهم لا يلجؤون لهذا الأسلوب بتاتا، لا لجهل أو رفض وإنما لكونهم لا يواجهون أية صعوبات في الزواج، نتيجة تكفل المجتمع الميزابي بتحقيق هذا المطلب الفطري والشرعي.

جدول رقم10 يبين كيف يحافظ أفراد العينة على الأخوة بينهم:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
الغض عن هفواتهم	50	%33.33
زيارتهم ومودتهم	50	%33.33
النصح لهم والتناصح	50	%33.33
المجموع	150	%100

يؤكد جميع أفراد العينة أنهم يحافظون على الأخوة التي تربطهم بإخوانهم سواء عن طريق الغض عن هفواتهم، أو زيارتهم ومودتهم، أو عن طريق إسداء النصيحة وتقبلها منهم، وهذا ما يؤكد مدى تماسك المجتمع الميزابي نتيجة إيمانهم بهذه القيمة المتمثلة في قيمة الأخوة، والمؤاخاة من أهم أسباب حدوث الألفة بين الناس، وإذا كان الدين هو أكبر باعث في المؤاخاة والتآخي، فإنه بذلك يعزز الألفة والتجمع على تعاليم الدين من أجل صلاح الدنيا والحياة والمجتمع، ومن الأمور التي من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين الإخوان، النصح والتناصح، والغض عن الهفوات، ووجوب زيارتهم ومودتهم، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب بما يعين على تحقيق مقاصد الشرع الإسلامي.

جدول رقم11 يبين كيف يصل أفراد العينة رحمهم:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
الزيارة والسلام	50	%37.03
البذل بالمال	20	%14.81
الخدمة	15	%11.11
الرعاية والرفق	50	%37.03
المجموع	135	%100

يؤكد جميع المبحوثين أنهم يصلون رحمهم بالإحسان إليهم ، سواء بالزيارة والسلام، أو بالرعاية والرفق بهم، والتعطف عليهم، وعدم الإساءة إليهما خاصة اتجاه الوالدين، وهذا ما تؤكده

نسبة 37.03 % من إجابات المبحوثين، إما بالمال لكن حسب حالهم ومقدرتهم على ذلـــك، أو بالخدمة في حال تعذر الصلة بالمال، حســـب تصـــريحات مفـــردات عينـــة البحـــث، وذلـــك بنسبة14.81% ونسبة11.11 % على التوالي من إجابات المبحوثين، وصلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك، كما أن الصلة بر وإحسان، والبر بالوالدين الإحسان إليهما والتعطف عليهما والرفق بهما والرعاية لأحوالهما وعدم الإساءة إليهما، وإكرام صديقهما من بعدهما، هو باب مـــن أبواب صلة الرحم[1] .

جدول رقم12 يبين كيف يؤثر أفراد العينة غيرهم على أنفسهم:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
أن تعطي أكثر مما يبقى لك	35	%44.87
أن تعطي الشيء مع حاجتك إليه	35	%44.87
أن تبذل كل ما عندك	08	%10.25
المجموع	78	%100

تؤكد نسبة 44.87 % من إجابات المبحوثين أنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم، بأن يعطوا أكثر مما يبقى لهم، أو إعطاء شيء مع الحاجة إليه، خاصة إذا ما تعلق الأمر بمصيبة أو نائبة حلت بأحد من إخوانهم، فلا يترددون في البذل والعطاء، أما نسبة 10.25 % من إجابات المبحوثين وهم من أعضاء مجلس الجماعة التي تشرف على شؤون المجتمع الميزابي، فإنهم يؤكدون حسب تصريحاتهم أنهم في بعض الأحيان يبذلون كل ما عندهم إيمانا منهم بقيمة الإيثار والبذل في سبيل الله، وللحفاظ على قوة تماسك المجتمع الميزابي، بتفريج الكربات التي تحل ببعض أفرادها بما يملكون من مال أو جاه، "الإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة[2]".

---

[1] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 727..

[2] . صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 629.

جدول رقم13 يبين لماذا يتصدق أفراد العينة على الفقراء:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
رجاء البركة	50	%50
تطهير المال	25	%25
تزكية النفس	10	%10
أخرى	15	%15
المجموع	100	%100

تؤكد نسبة 50% من إجابات المبحوثين أنهم يتصدقون على الفقراء رجاء البركة في ممتلكاتهم، ودفعا عن أنفسهم المصائب، وطمعا في رضا الله تعالى ومثوبته، أما نسبة25% من إجابات المبحوثين فيؤكدون حسب تصريحاتهم أنهم يتصدقون على الفقراء تطهيرا لأموالهم، التي هي حق الفقراء على الأغنياء، التي هي أموال فريضة الزكاة، أما نسبة10% من إجابات المبحوثين فيصرحون أنهم يتصدقون على الفقراء لأجل تزكية النفس وتطهيرها، ورغبة في مكارم الأخلاق، ورعاية لحقوق إخوانهم الفقراء عليهم، ويولي المجتمع الميزابي أهمية بالغة لهذه القيمة لما لها من أثر واضح في الحفاظ على نظامهم الاجتماعي، "وفي مجال البذل والعطاء والتبرع، فبمجرد أن تلقى كلمة في المسجد تحثهم على ذلك تجدهم يتزاحمون ليدفعوا الأموال[1]"، لأن الصدقة عطية يراد بها المثوبة لا التكرمة، وبها يظهر الصدق في العبودية، وهي أعم من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضا[2].

جدول رقم14 يبين كيف يحافظ أفراد العينة على دينهم:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
تعلم تكاليف دينك وما فرضه الله عليك	50	%24.39
الدعوة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال وأفعال	50	%24.39
الابتعاد عن البدع والخرافات	25	%12.19
تقوية الروابط الاجتماعية	30	%14.63
الابتعاد عما تميل إليه النفس والشهوة	50	%24.39
المجموع	205	%100

1. إبراهيم بن عمر بيوص، المجتمع المسجدي، ط2(عمان: مكتبة أبي الشعثاء، 1990)، ص64.
2. صالح بن عبد الله بن حميد، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن ملوح، المرجع السابق، ص 2518.

يؤكد جميع المبحوثين أنهم يحافظون على دينهم بتعلم تكاليف دينهم وما فرضه الله عليهم وبالمحافظة والمداومة على أدائها، وبالدعوة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال وأفعال، وبالابتعاد عما تميل إليه النفس والشهوة، حسب ما تشير إليه النسب الواردة في الجدول رقم14، أما نسبة 14.63% من إجابات المبحوثين فصرحوا أنهم يحافظون على دينهم بتقوية الروابط الاجتماعية التي تربطهم بإخوانهم، التي من شأنها أن تحميهم من الضعف خاصة في المحافظة على أداء العبادات، أما النسبة المتبقية من إجابات المبحوثين فتؤكد أن المحافظة على الدين يكون بالابتعاد عن البدع والخرافات، لما انتشر في أوساط المجتمع الكثير من البدع التي ينسبها أصحابها إلى روح الدين الإسلامي، كالرقية والتطرف الديني في السلوك والمظهر، والإفتاء...الخ، حسب تصريحات المبحوثين.

جدول رقم15 يبين أين تلقى أفراد العينة التربية الدينية:

العبارة			التكرار	النسبة المئوية
هل تلقيت تربية دينية	نعم	في المسجد	50	%43.47
		في الكتاتيب	50	%43.47
		أخرى	15	%13.04
	لا		00	%00
المجموع			115	%100

تؤكد جميع إجابات المبحوثين الواردة في الجدول رقم15 أنهم جميعا تلقوا تربية دينية سواء في فترة الطفولة بالالتحاق بالمحاضر، أو بعد ذلك من خلال الانضمام لحلقة إيروان؛ "التي تتشكل من الطلبة المستظهرين كتاب الله، كما يشترط فيهم علاوة على حفظ القرآن أن يكونوا مسجديين، يتحلون بالتقوى والورع، ومجانبة قرناء السوء ومواطن الشبه[1]"، وهو ما يؤكد مدى حرص المجتمع الميزابي على تحقيق التربية الدينية لكل فئاته (أطفال، شباب، شيوخ، نساء)، من خلال ما يقام على مدار السنة من دروس الوعظ والإرشاد في المساجد، وكذلك من خلال نظام المحاضر(الكتاتيب) التي تتولى مهمة تحفيظ القرآن للناشئة وتعليمهم الوضوء والصلاة وتعويدهم ارتياد المساجد لكونها تقام عادة بجوار المسجد، فالاهتمام بهذا المطلب من شأنه أن يهيئ الأفراد للمحافظة على هذا النظام الاجتماعي والديني والاستمرار على هذا النهج، المستمد من الدين

[1] . المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر (الجزائر: المطبعة العربية ، 1933)، ص 118.

الإسلامي، وفي هذا المجال يقول إبراهيم طلاي:"لعل أكبر جهد قامت به حلقات العزابة وكان لها أقوى الأثر في المجتمع هو تنشئة الناشئة على التربية الدينية وتعليمها وتلقينها القرآن الكريم، فلكل مسجد في ميزاب محضرتان أو ثلاث محاضر تتلقى أطفال القرية تعلمهم مبادئ الكتابة واللغة وتحفظهم القرآن[1]"، فهذا النظام الذي ابتدعه العزابة قد أسهم كما يقول عوض محمد خلفيات: "في فتح فرص التعليم الديني أمام أتباع المذهب الإباضي، وأتاح هذا النظام الفرصة لأبناء الفقراء من أتباع المذهب للالتحاق بمدارس العزابة ، وتلقي العلم والمأوى والأكل دون أجر، وبذلك حققوا مجانية التعليم في مناطقهم منذ أمد بعيد يعود إلى القرن الخامس الهجري، وربما قبل ذلك[2]".

وتتولى كذلك الفرق الرياضية ولجان الفنون التابعة للمسجد تلقين التربية الدينية للأفراد الذين ينتمون إليها، حسبما تشير إليه نسبة 13.04% من إجابات المبحوثين

جدول رقم16 يبين كيف تحصل أفراد العينة على العمل:

العبارة	التكرار	النسبة المئوية
البحث الشخصي	05	%10
تدخل الأهل والأقارب	38	%76
أخرى	07	%14
المجموع	50	%100

تشير النسب الواردة في الجدول أن أغلبية المبحوثين تحصلوا على العمل الذي يزاولونه أو الوظيفة التي يشغلونها، عن طريق تدخل الأهل والأقارب سواء بالعمل في التجارة التي تملكها الأسرة أو لدى بعض الأقارب، وفي الحصول على بعض الوظائف، أما نسبة10% من إجابات المبحوثين فتأكد أنهم تحصلوا على الوظيفة التي يشغلونها عن طريق البحث الشخصي، أما النسبة المتبقية والمتمثلة في14% فإنهم صرحوا أنهم تحصلوا على العمل عن طريق تدخل مجلس الجماعة التي تشرف على شؤون المجتمع الميزابي المقيم في مدينة باتنة.

وقد يتدخل العزابي في البحث عن عمل شريف لمحتاج أو يتيم أو عاطل عن العمل، كما يسعى لحفظ كرامة ذوي العاهات والأرامل والمرضى والمحتاجين إلى مساعدة إخوانهم الميسورين دون أن يشعروا بالذلة والهوان[3]، ونجد في كل مدينة كبيرة أو صغيرة اجتمع فيها بعض التجار

[1] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، ط1(القرارة : جمعية التراث، 2007)، ص ص 32 ، 33.

[2] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، المرجع السابق، ص 34.

[3] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة المرجع السابق، ص 39.

وتكونت فيها بعض المتاجر، يتخذون مسجدا للصلاة ودارا يسموها دار العرش لمن يأتي من أبنائهم يبحث عن العمل، أو لعابر سبيل يجدون دار العرش للترول فيها مجهزة بميضأة ووسائل الراحة ومكان للصلاة ، وإذا قدم شاب جديد ينادونه ويسألونه عن سبب قدومه، إذا كان يطلب العمل ووجد عندهم من يحتاج إلى أجير يوظفونه، وإذا لم يجدوا له عملا يوجهونه، ويدفعون له أجرة النقل إلى المكان المقصود، هذا هو نظامهم وهذه هي طريقتهم لا يغفلون عن شاب بطال لا عمل له، لأنه ربما يكون سببا في إفساد غيره وربما يتعدى، فلا يترك أبدا[1].

جدول رقم17 يبين الصعوبات التي يواجهها أفراد العينة في الحصول على التعليم:

العبارة			التكرار	النسبة المئوية
وجدت صعوبة في الحصول على التعليم	نعم	الفقر	00	%00
		عدم الاهتمام من قبل الآباء	00	%00
		بعد المدرسة عن المترل	00	%00
	لا		50	%100
المجموع			50	%100

تشير نسبة 100% الواردة في الجدول رقم17 أن جميع المبحوثين لم يواجهوا أية صعوبات في الحصول على التعليم، لكون المجتمع الميزابي يولي أهمية بالغة لتوفير التعليم لجميع أفراده، من خلال تبرعات وهبات المحسنين والمتبرعين التي لا يتوقف مددها، ومن خلال دور العشيرة ومجلس الجماعة بالتكفل ماديا ومعنويا بمساعدة الراغبين في التعليم ومواصلة تعليمهم إلى درجات عليا .

جدول رقم18 يبين الجهة التي قدمت المساعدة لأفراد العينة للحصول على التعليم:

العبارة			التكرار	النسبة المئوية
تلقيت مساعدة للحصول على التعليم	نعم	الأقارب	10	%20
		الجيران	00	%00
		المسجد	00	%00
		أخرى	05	%10
	لا		35	%70
المجموع			50	%100

[1] . إبراهيم بن عمر بيوص، المرجع السابق، ص8.

تؤكد النسبة الواردة في الجدول أن 70% من عينة البحث لم تقدم لها أية مساعدات للحصول على التعليم، لأن أسرهم تكفلت بتعليمهم، أما النسبة المتبقية فأكدوا حسب تصريحاتهم أنهم تلقوا مساعدات للحصول على التعليم سواء من الأقارب أو من العشيرة التي تشرف عليهم، "في هذا المجتمع تجمع العشيرة أولادها، فتنظر المحتاج فيهم، تعطيه ما يقيه الحر والبرد، واللباس اللائق بالدخول المدرسي، وبعد انتهاء السنة الدراسية تجمع كذلك أبناءها، وتوزع عليهم جوائز تشجيعا لهم، وهذا قل ما يوجد في المجتمعات، ولا نريد أن نترك هذا، بل نزيد فيه[1]" .

جدول رقم19 يبين كيف يساهم أفراد العينة في حفظ محيطهم الاجتماعي من المسكرات والمخدرات وأمثالها:

العبارة			التكرار	النسبة المئوية
تساهم في حفظ محيطك الاجتماعي من المسكرات والمخدرات وأمثالها	نعم	التبليغ عن مدمنيها	00	%00
		النصح والإرشاد	50	%45.45
		الدعاء لهم	10	%09.09
		تطبيق مبدأ البراءة	50	%45.45
	لا		00	%00
المجموع			110	%100

تشير النسب الواردة في الجدول أن جميع المبحوثين يساهمون في حفظ محيطهم الاجتماعي من المسكرات والمخدرات وأمثالها، وذلك بنصحهم وإرشادهم، والدعاء لهم، كما يقاطعون الأفراد الذين يقعون في هذه الآفات الاجتماعية، من خلال مبدأ البراءة منهم، إلى أن يندموا ويرجعوا، بإعلان توبتهم العلنية في المسجد، صونا للمجتمع من الانحرافات، حيث تتولى هذه المهمة هيئة العزابة، "بما أن العزابة هم المسؤولون عن حماية المجتمع مما يمسه في جوهره، ويناله في سلوكه، فإن من مهامهم معاقبة المنحرفين عن سواء السبيل، والذين يقترفون الموبقات، والذين يجاهرون بالمعاصي، فيقومون بتنبيه العاصي وإرشاده، ومحاولة إعادته إلى جادة الطريق، وفق ما تدعوا إليه الشريعة وترشد إليه، فإن أصر قاموا بتأديبه، وقد يصل الأمر إلى إعلان البراءة منه على الملأ في المسجد، جزاء وفاقا للجرم الكبير الذي أتاه، ليرتدع ويكون عبرة لغيره[2]".

---

[1]. إبراهيم بن عمر بيوص، المرجع السابق، ص 88.

[2] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، المرجع السابق، ص18.

جدول رقم20 يبين مدى انتشار الزواج في المجتمع الميزابي:

العبارة			التكرار	النسبة المئوية
هناك إقبال على الزواج في المجتمع الميزابي	نعم	تيسير شروط الزواج	50	%50
		تكفل الأغنياء بتكاليف زواج الشباب الفقير	50	%50
	لا	غلاء المهور	00	%00
		ضعف الوازع الديني لدى الشباب	00	%00
المجموع			100	%100

يؤكد جميع المبحوثين أن هناك إقبال على الزواج في المجتمع الميزابي، سواء كان فقيرا أو غنيا، فقد وضع المجتمع الميزابي آليات لتيسير الزواج والمتمثلة أساسا في تحديد وتقييد شرط الزواج حتى على الأسر الميسورة، والتكفل به في حالة عدم الاستطاعة للراغبين في ذلك والذين تحول بينهم وبين هذه الرغبة عدم قدرتهم على توفير شرط الزواج وتكاليفه، وهو ما يؤكد سعي المجتمع الميزابي للتكفل بهذا المطلب الفطري والشرعي والمتمثل في الزواج وتكوين أسرة، وحرصه على حفظ المجتمع مما يترتب عن عدم تحقيق هذا المطلب الضروري وفوات هذه المصلحة من آثار تفتك بالمجتمع كالزنا مثلا، وهو ما تؤكده النسبة الواردة في الجدول رقم20، "يجتمع أعيان العشيرة، للنظر في أمر هذا الشاب الذي لم يتزوج، فيقال إنه فقير، فيجمعون له تبرعات من زكاة وصدقات فيتزوج،...ونحن نفتي دائما بإعطاء الزكاة في هذا السبيل، تجهز بنت فقيرة، وتحصن بمال الزكاة، تحصن دينها هي وتحصن زوجها،...يعان المحتاج إلى الزواج –شابا كان أو فتاة– ولو من زكاة المال[1]".

سؤال رقم21 يبين كيف يساهم المجتمع الميزابي في تحقيق التماسك الاجتماعي:

تؤكد جميع إجابات المبحوثين أن سر تماسك المجتمع الميزابي، هو تمكنهم من توظيف المسجد أحسن توظيف، وجعله منطلق نشاطهم ودعوتهم، "إن المسجد مكان التكوين الديني، ومجال مهم لنشر الوعي الديني، ...والترابط والوحدة والتماسك، وتربية الناس على الجمع بين

[1] . إبراهيم بن عمر بيوص، المجتمع المسجدي، ط2(عمان: مكتبة أبي الشعثاء، 1990)، ص ص89.88 .

الدين والعلم، وبين الدين والدنيا، بين الروح والمادة،... وبه يتحصنون من الانحراف[1]"، ومن الآليات التي وضعها المجتمع الميزابي، التي من شأنها أن تساهم في تحقيق التماسك الاجتماعي، إشراف مجلس الجماعة على سير مختلف التظاهرات الاجتماعية، ولا يكتفون بالمشاركة الشكلية، إنما يقومون بدور كبير في وضع الأنظمة واللوائح التي تنظم وتوجه سير هذه المناسبات طبقا للشريعة الإسلامية، لصهر المجتمع في بوتقة المنظومة الدينية، فهي وحدها الكفيلة بحفظ تماسك المجتمع، "وتكون هذه المناسبات ذات الطابع الاجتماعي فرصة للعزابة للتأكيد على المحافظة على الوحدة والتضامن والتعاون بين أفراد المجتمع، فلا تنقضي هذه المناسبات أكلا وشربا، أو تجمعا وانفضاضا، وإنما تغتنم في الأغلب الأعم للتذكير بالقيم الإسلامية الأصيلة، والحث على التشبث بها، ومقاومة كل مظاهر الانحلال والتهتك والانحراف[2]".

كما يتجسد التماسك الاجتماعي من خلال الدور الذي تقوم به مجالس العشائر، من خلال جمع الزكاة من الأغنياء، وتوزيعها توزيعا عادلا على مستحقيها بطريقة تكفل لهم الحياة الاجتماعية المتوازنة[3]، وبهذه الطريقة يتكون بين أفراد العشيرة الواحدة تعارف وتعاون وتضامن وتآزر، يؤدي إلى التآلف والوحدة[4].

كما ساهم البعد الديني لهذه المؤسسات والهيئات التي تؤطر المجتمع الميزابي في تحقيق التماسك الاجتماعي، "هذا النظام استطاع أن يستقطب كل التنظيمات الاجتماعية، ويطبعها بالطابع الديني الصحيح، ويغرس في نفوس الأفراد الولاء لله ورسوله فيما شرعه الدين الحنيف من آداب الجوار، والتكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى، ويتعهد هذا النظام يقظة الضمير الديني والحس المدني لدى الفرد والجماعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5]"،ومن مظاهر التماسك الاجتماعي في المجتمع الميزابي حسب المبحوثين، هو الاعتناء والسهر على شؤون الأيتام والأرامل والفقراء والمحتاجين، وحماية الضعفاء ممن لا يقوى على شؤونه، والفصل في الخصومات، وإزالة أسباب التوتر بين الأفراد والجماعات، "إنما المجتمعات أصل تكوينها ينبني على تآلف الأرواح

---

[1] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، المرجع السابق، ص48.

[2] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، منهج الدعوة عند الاباضية، ط2 (غرداية: المطبعة العربية، 1999)، ص291.

[3] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي (الجزائر: جمعية التراث، 1989)، ص 28.

[4] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، المرجع السابق، ص45.

[5] . محمد بن قاسم ناصر بوحجام، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة، المرجع السابق، ص47.

والقلوب، فإذا كانت مليئة بالإيمان متشبعة بروح الإحسان، متشبعة بروح التعاون، ساعدت على تكوين المجتمع الصالح[1]".

سؤال رقم22 يبين الأعمال التي يقوم بها المجتمع الميزابي في المحافظة على عفته:

أكد جميع المبحوثين أن من بين الأعمال التي يقوم بها المجتمع الميزابي للحفاظ على عفته، هو تيسير شروط الزواج صونا لعفة الفرج، من الفواحش والمنكرات كالزنا، ومنع التبرج في المجتمع الميزابي صونا لعفة البصر التي هي مبعث الوقوع في الحرام، ومراقبة البيع والشراء في الأسواق، ومحاربة صور الغش والخداع والتحايل والاحتكار، وفض التراعات بين المتعاملين والشركاء، حتى تتحقق العفة في الكسب.

سؤال رقم23 يبين الدور الذي يقوم به مجلس الجماعة في القضاء على البطالة في أوساط الشباب من المجتمع الميزابي:

يسعي مجلس الجماعة باستمرار للقضاء على البطالة في المجتمع الميزابي، من خلال تدخله مع الأولياء ومجلس العشيرة والعلاقات الأسرية ، ومن خلال السعي لتكوين مشروعات اقتصادية صغيرة يشترك فيها ذوي القربى، ومن خلال كذلك دعم أرباب العمل الميزابيين لإقامة مشروعات اقتصادية، والهدف من ذلك كله هو توفير أسباب الرزق لأكبر عدد من الأسر، حسب تصريحات المبحوثين.

جدول رقم24 يبين كيف يساهم مجلس الجماعة في محاربة الجهل في المجتمع الميزابي:

العبـــــــــــارة		التكرار	النسبة المئوية
تساهم جماعتكم في محاربة الجهل	نعم	50	%100
	لا	00	%00
المجموع		50	%100

تؤكد نسبة100% الواردة في الجدول رقم 23، أن جميع المبحوثين يؤكدون أن مجلس الجماعة يساهم في محاربة الجهل، من خلال السعي لتسهيل الحصول على التعليم وخاصة التعليم الديني، لمختلف فئات المجتمع الميزابي، من خلال المحاضر والمساجد ومختلف المدارس والمعاهد الحرة التي يقيمها المجتمع الميزابي في جميع المدن التي يقيم فيها، والتي تقدم فيها مختلف الدروس في مجال الدين، وفي مجال العلوم الأخرى تساير المدارس الرسمية. و المرأة في البيت يصل إليها دروس الوعظ

[1] . إبراهيم بن عمر بيوص، المرجع السابق، ص8.

والإرشاد، من خلال اللقاءات مع النساء الواعظات في التجمعات النسوية للعشائر، رغم أنه غير كاف بالنسبة للمرأة حسب بعض المبحوثين.

سؤال رقم25 يبين الدور الذي يقوم به مجلس الجماعة في محاربة الآفات الاجتماعية:

أكد جميع المبحوثين أن المجتمع الميزابي يحارب الآفات الاجتماعية المختلفة، بالسعي لتوفير العمل للشباب البطال حتى يحفظ كرامته، من خلال تدخل مجلس الجماعة لتوفير هذا المطلب للشباب البطال، وكذا سعيه لتزويج الشباب الفقير، وتطبيق مبدأ البراءة على الأفراد الذين يقترفون الآثام ويجاهرون بالمعاصي بممارسة هذه الآفات الاجتماعية.

جدول رقم26 يبين مدى امتثال الميزابيين لقرارات مجلس الجماعة:

العبـــــــــــارة		التكرار	النسبة المئوية
يمتثل الميزابيون في باتنة لقرارات مجلس الجماعة	دائما	50	%100
	أحيانا	00	%00
	لا يمتثلون	00	%00
المجموع		50	%100

يؤكد جميع المبحوثين أن جميع أفراد المجتمع الميزابي يمتثلون دائما لقرارات مجلس الجماعة وذلك ما تشير إليه نسبة 100 % من عينة البحث ، والسبب في ذلك حسب ما صرح به المبحوثين يعود إلى البعد الروحي للنظام الاجتماعي الذي يحكم المزابيين، ولأن قرارات هذا المجلس تصب في مصلحة الجماعة والفرد، ونتيجة كذلك للوعي الديني الذي تشبع به جميع أفراد المجتمع الميزابي، نتيجة تدرجهم بمختلف مؤسسات التكوين الديني.

2.استخلاص النتائج:

عالج موضوع البحث الدور الذي تؤديه القيم الإسلامية في تحقيق التنمية الاجتماعية، من منطلق أن القيم الإسلامية هي مجموعة من القواعد والمبادئ الإسلامية الاعتقادية، ما يجعلها تتحكم في توجيه السلوك الفردي والجماعي، وأن التنمية الاجتماعية مفهوم مرادف لمفهوم المطالب الضرورية حسب منظور المقاصد الشرعية التي حددها الإسلام، وبالتالي فإن تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية يعني تحقيق هذه المتطلبات الضرورية لكل فرد في المجتمع، في إطار مقاصد الشرع المتمثلة في الكليات الخمس (الدين والنفس والعقل والمال والنسل)، والتي تعد من خلال البحث إحدى مكونات التنمية الاجتماعية، واعتمد البحث قيمة الأخوة وقيمة الإيثار وقيمة البر وقيمة العفة وقيمة صلة الرحم وقيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقيم إسلامية خالصة التي هي بمثابة اعتقاد وقناعات دينية لدى أفراد المجتمع، والكفيلة في مجموعها بأن تدفعهم لتحقيق هذه المتطلبات الضرورية، التي تمثل المصلحة الجماعية، وهو ما تشير إليه مجمل النتائج التي توصل إليها البحث والمتمثلة فيمايلي:

بالنسبة للمتغير الأول للدراسة والمتمثل في القيم الدينية الإسلامية، التي مصدرها الوحي، وليس المجتمع أو العقل الإنساني، فهي تشكل عقيدة المجتمع وقناعاته، وتجسد تصرفات أفراده وسلوكاتهم مدى عمق القناعة الدينية بالقيم الإسلامية، وبالتالي مدى عمق العقيدة الإسلامية في أنفسهم، "والإنسان الحق هو الذي تشكل القيم الروحية أفكاره، وعواطفه وسلوكه[1]"، والقيم الإسلامية ملزمة لبعضها البعض، وتتفاعل وتتساند فيما بينها في إطار العقيدة الإسلامية.

وتجسدت القناعة الدينية لدى المجتمع الميزابي بالقيم الإسلامية، كمنظومة قيمية ، من خلال:

-**قيمة البر**: إن حب الخير للناس قولا وعملا، وإيثار الصلاح لهم من أسباب الألفة بينهم، وتظهر هذه القيمة في المجتمع الميزابي ، بمختلف أعمال الخير التي يفعلونها، وهذا ما تؤكده البيانات الميدانية من خلال النسب المئوية الواردة في الجداول، فالجدول رقم 08 يبين أن جميع المبحوثين أي بنسبة 100%، يعينون على فعل الخير –ولو بأضعف الإيمان- بطيب الكلام وحسن القول، وبالتبرع بالمال من غير عوض مطلوب، حسب مقدرة كل فرد، كما تشير إليه نسبة 25.64% من إجابات المبحوثين.

[1] . الربيع ميمون، المرجع السابق ، ص 54.

-**قيمة العفة**: إذا كانت العفة من سمات الفلاح وعلامات الفوز في الدار الآخرة، فإن أثر هذه القيمة الإسلامية في الحياة الاجتماعية، سواء على الفرد أو المجتمع يؤدي إلى تماسك بنيان المجتمع، فعفة اللسان وكفه عن أعراض الناس، وعدم السخرية منهم، وعدم التجسس عليهم أو دعوتهم بألقاب قبيحة أو فيها سخرية، وعفة البصر بغضه عن المحارم وعفة الفرج بحفظه عن الحرام بالزواج، وعفة المال باكتسابه من أوجه الحلال، أي بالأعمال وبالطرق المشروعة والشريفة، وإنفاقه في المصارف الحميدة سواء على أسرهم، أو التصدق على أهلهم وأقربائهم وإخوانهم، أو إنفاقه في مختلف المشاريع الخيرية التي تعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة، وهي كلها سلوكات اجتماعية موجودة في المجتمع الميزابي، وتدفعهم جميعا إلى تحقيق غاية هي حياة صالحة لهم جميعا.

-**قيمة الأخوة**: من مقاصد الأخوة والألفة في المجتمع، الاستعانة بها على أداء الرسالة المنوطة بالإنسان كمستخلف في الأرض، والتآلف والتجمع على تعاليم الدين الحق من أجل صلاح دينهم دنياهم، ومن السلوكات التي تشيع هذه القيمة في المجتمع الميزابي، الغض عن هفوات إخوانهم، وزيارتهم ومودتهم، والنصح والتناصح بينهم، وهذا ما تؤكده البيانات الواردة في الجدول رقم 10.

-**قيمة صلة الرحم**: إن الإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وأدناها ترك المهاجرة بالكلام ولو بالسلام، من ذوي النسب والأصهار وغيرهم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، وتتجسد هذه القيمة في المجتمع الميزابي من خلال الإحسان إلى ذوي الرحم، بالمال حسب المقدرة والاستطاعة، وإن تعذر بالزيارة والسلام، وبالرعاية والرفق، وغيرها من الأعمال التي تحافظ على هذه الصلة المتينة وتقويها، والتي هي من أخص خصائص المجتمعات الإسلامية، وهي من القيم الاسلامية التي تحفظ تماسك النظام الاجتماعي الميزابي وتضمن استمراره، كما تشير إليه بيانات الجدول رقم 11.

-**قيمة الإيثار**: إن تقديم المرء لغيره على نفسه في الحظوظ الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، يصدر عن قوة اليقين، والصبر على المشقة، وتوكيد المحبة اتجاه إخوانه، وتقديم مصالح إخوانه على نفسه،كالكسوة والمأكل والمشرب...الخ، فالمجتمع الميزابي يؤمن بهذه القيمة، ويجسدها أفراده بمختلف سبل العطاء حسب مقدرة كل فرد وقوة يقينه وقناعته بهذه القيمة، سواء بإعطاء أكثر مما يبقى لهم، أو إعطاء شيء مع الحاجة إليه، خاصة إذا ما تعلق الأمر بمصيبة أو نائبة حلت بأحد من إخوانهم، فلا يترددون في البذل والعطاء، أو يبذلون كل ما عندهم إيمانا منهم بقيمة الإيثار والبذل

في سبيل الله، وحفاظ على قوة تماسك المجتمع الميزابي، بتفريج الكربات التي تحل ببعض أخوانهم بما يملكون من مال أو جاه، وبالصدقة على إخوانهم الفقراء رجاء البركة، أو تطهير أموالهم بإخراج الزكاة، أو تزكية أنفسهم وتطهيرها، وهي قيمة دينية راسخة في المجتمع الميزابي، والعمود الذي يستند عليه النظام الاجتماعي للمزابيين.

-**قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: إن الدلالة على الخير بما يوافق الكتاب والسنة، والمنع عن الشر، بالنهي عن الشهوة وعما تميل إليه النفس، هو من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتجسد هذه القيمة في المجتمع الميزابي، من خلال التعاون على فعل الخير وطاعة الله عز وجل، ومن خلال مختلف أعمال الخير (الجدول رقم 08)، ومختلف صور التبرع بالمال والبذل والعطاء والجود (الجدولين،12 و 13)، وتجنب معصيته بمختلف صور العفة (الجدول رقم 09)، وطرق المحافظة على الدين (الجدول رقم14).

أما المتغير الثاني للدراسة والمتمثل في التنمية الاجتماعية، التي تعني تحقيق المطالب الضرورية لجميع الأفراد، المتمثلة في متطلبات حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ المال وحفظ النسل، فتحققت هذه المتطلبات كمايلي:

-**حفظ الدين**: إن استمرار الحياة وصلاحها مرتبط بقيام المستخلفين فيها بما كلفوا به، مع تقديم مصلحة الدين على المصالح الأخرى التي هي أساسها ، ويجب التضحية بما سواها في سبيل المحافظة عليها وإلغاء ما يعارضها من المصالح الأخرى، ويحفظ المجتمع الميزابي على دينه بتعلم تكاليفه وما فرضه الله عليه، والدعوة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال وأفعال، والابتعاد عما تميل إليه النفس والشهوة، وبتقوية الروابط الاجتماعية بينهم، وبالابتعاد عن البدع والخرافات، من خلال القناعة الدينية الجماعية بالمنظومة القيمية الإسلامية، وبتوجيه هذه القناعة ليس فقط نحو السعادة الدنيوية وجني ثمارها المادية، وإنما نحو السعادة الروحية واللذة الإيمانية بالامتثال للقواعد الربانية، رغبة في السعادة الأخروية، لأن العقيدة الصحيحة هي أساس كل بناء أو عمل، وكل ما يخلو من ذلك فهو باطل.

-**حفظ النفس**: إن من صلاح النفس والمحافظة عليها ومنع الاعتداء عليها توفير العمل، لأن ضياع هذه المصلحة فيه فوت حياة، وفساد لحالة المجتمع، فالمجتمع الميزابي وضع آليات لتحقيق العمل ومحاربة البطالة في أوساط الشباب الميزابي، والمتمثلة في تدخل الأهل والأقارب أو العشيرة في إيجاد

العمل للشباب البطال لتلك العشيرة دون أي تمييز، من خلال إقامة مشروعات اقتصادية صغيرة يشترك فيها ذوي القربى.

-**حفظ العقل**: ومن المحافظة على العقل صونه من أن تناله آفة تجعل صاحبه عبئا على المجتمع، أو مصدر شر أو أذى، ومحاربة الجهل بتوفير التعليم وتسهيل الحصول عليه لجميع أفراد المجتمع، بحيث يكون كل عضو من أعضاء المجتمع سليما يساهم في مد المجتمع بالخير والنفع، ومن أجل ذلك وفر المجتمع الميزابي التعليم خاصة للفئات الفقيرة التي تحول بينهم وبين رغبتهم في التعليم ومواصلته بتقديم مساعدات للحصول على التعليم، سواء عن طريق الأقارب أو مجلس العشيرة التي تشرف عليهم أو مجلس الجماعة، كما يقاطع المجتمع الميزابي كل فرد من مجتمعهم يقع في الآفات الاجتماعية، من خلال مبدأ البراءة منه، إلى أن يندم ويرجع، بإعلان توبتهم العلنية في المسجد، صونا للمجتمع من الانحرافات، وكل ما من شأنه أن يؤثر على عقولهم.

-**حفظ النسل**: إن المقصد الأول للزواج هو المحافظة على النسل وتكثيره، ليكون منه التوالد الذي يمنع فناء الجنس البشري، وحماية أعراض المجتمع من الزنا واختلاط الأنساب، التي تهز التماسك الأسري والاجتماعي، ولتحقيق هذا المطلب وضع المجتمع الميزابي آليات لتيسير الزواج، بتكفل أغنياء المجتمع الميزابي بنفقات وتكاليف زواج الشباب الفقير، كما أن محاربة المجتمع الميزابي للبطالة في أوساط الشباب الميزابي وتوفير العمل، يعد أسلوبا من أساليب تحقيق مطلب الزواج للشباب.

-**حفظ المال**: لقد ربط الفقهاء حفظ المال بحفظ الذات الإنسانية واستمرارها إلى الأجل المحتوم، بتناول ما يحفظ حياتها من موجودات هذا العالم، وانقطاع الحياة نفسها يتصور بانقطاع المال، فالسرقة والغصب و الرشوة والنصب والاحتيال، والتعدي على ملكية الغير كلها صورة من صور انقطاع المال، والمجتمع الميزابي حارب هذه الأشكال من التعدي على الأموال، من خلال مؤسساته الاجتماعية ومجالسه الدينية، بمراقبة الأسواق وعمليات البيع والشراء، إذ يكون لها انعكاسات ايجابية على حياة الناس، فيشعرون بالأمن والطمأنينة وهم يمارسون أعمالهم التجارية، ويقضون حاجاتهم المعاشية.

إن المجتمع الذي تشكل هذه المنظومة القيمية المتكاملة التي مصدرها الله عز وجل قناعاته الدينية، والتي يجسدها في الواقع بجميع تصرفاته وسلوكاته، وبعلاقاته الاجتماعية المبنية على هذه القيم من خلال نظام اجتماعي يستند على قواعد الشرع الإسلامي وهديه في تنظيم شؤونه الاجتماعية، ويتخذ من المسجد المؤسسة الاجتماعية والروحية التي تسهر على استمرار هذا النظام

الاجتماعي، فهو بهذا النظام الاجتماعي والروحي وفر السبل الكفيلة بتحقيق متطلبات جميع أفراده المادية والروحية، وهو ما حقق تنمية اجتماعية وفق منظور الشرع الإسلامي، وبالتالي فالمجتمع الميزابي مجتمع تحققت فيه التنمية الاجتماعية.

من خلال هذه النتائج فإن القيم الدينية الإسلامية تؤدي إلى تحقيق التنمية الاجتماعية، مما يؤكد صدق فرضية البحث.


المراجع

المراجع

أ.**الكتب** :

باللغةالعربية:

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت: دار صادر، 1956.

2. أبوحامد، الغزالي. المستصفى من علم الأصول. تقديم محمد سليمان الأشقر. بيروت مؤسسة الرسالة، .1997

3. أبوكريشة، عبد الرحيم تمام. دراسات في علم الاجتماع التنمية. الأزاريطية: المكتب الجامعي الحديث، 2003.

4. الأصفهاني، الراغب. مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داوي. دمشق: دار القلم، .1992

5. بركات، حليم. المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي. ط7. بيروت: مركز الوحدة العربية، .2001

6. بكار، عبد الكريم. مدخل إلى التنمية المتكاملة: رؤية إسلامية.ط2. دمشق،2001.

7. بن حميد، صالح بن عبد الله. بن ملوح، عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان. موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم. جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1998.

8. بن نبي، مالك .ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة عبد الصبور شاهين. ط2. بيروت: دار الفكر، .1974

9. بن نبي، مالك .تأملات. ط2. الجزائر: دار الفكر،1991.

10. بن نبي، مالك. من أجل التغيير. ترجمة بسام بركة وعمر مسقاوي. دمشق: دار الفكر، .1998

11. بوحجام، محمد بن قاسم ناصر. البعد الروحي لنظام حلقة العزابة. القرارة: جمعية التراث، 2007.

12. بوحجام، محمد بن قاسم ناصر. منهج الدعوة عند الاباضية. ط2. غرداية: المطبعة العربية، .1999

13. بوحجام، محمد بن قاسم ناصر. حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي. الجزائر: جمعية التراث، 1989.
14. بيومي، محمد أحمد، علم اجتماع القيم. مصر: دار المعرفة الجامعية، 2002.
15. بيومي، محمد أحمد. علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي. الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية، 2003.
16. بيوض، إبراهيم بن عمر. المجتمع المسجدي. ط2. عمان: مكتبة أبي الشعثاء، 1990.
17. توفيق، المدني أحمد. كتاب الجزائر. الجزائر: المطبعة العربية، 1947.
18. التابعي،كمال. الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم والتنمية. القاهرة: دار المعارف، 1985.
19. الجرجاني، علي بن محمد الشريف. كتاب التعريفات. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1980.
20. الجوزية، ابن القيم. مدارج السالكين. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988.
21. الجوهري، عبد الهادي وآخرون. دراسات في التنمية الاجتماعية: مدخل إسلامي. الأزاريطية: المكتب الجامعي الحديث، 1999.
22. الجوهري، عبد الهادي. التضامن الإسلامي في مجال التنمية الاجتماعية. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1971.
23. الجلاد، ماجد زكي. تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم.ط2. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007.
24.حسن، عبد الباسط محمد . التنمية الاجتماعية . ط2. القاهرة : مكتبة وهبة، 1988 .
25.حسن، إحسان محمد. علم الاجتماع الديني. الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع، 2005.
26. خاطر، أحمد مصطفى. تنمية المجتمعات المحلية: نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع. الازاريطية: المكتب الجامعي الحديث، 1999.
27. خاطر، أحمد مصطفى. الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع الريفي: رؤية نظرية وواقعية. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1990.
28. الخياط، عبد العزيز. المجتمع المتكافل في الإسلام. عمان: مؤسسة الرسالة، 1982.
29. دراز، عبد الله محمد. دستور الأخلاق في القرآن. الكويت: مؤسسة الرسالة، 1982.
30. دياب، فوزية. القيم والعادات الاجتماعية. بيروت: دار النهضة العربية، 1980.

31. الدسوقي، فاروق. مقومات المجتمع المسلم. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1986.
32. الريسوني، أحمد. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. تقديم طه جابر العلواني .ط4. الرياض: الدار العالمية للكتب الإسلامي، 1995.
33. زرزور، نوال كريم. معجم ألفاظ القيم الأخلاقية وتطورها الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 2001.
34. الكاشف، علي. التنمية الاجتماعية: مفاهيم وقضايا. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1985.
35. مرسي، نورهان منير. القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية. الأزاريطية: المكتب الجامعي الحديث، 1999.
36. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب. أدب الدنيا والدين. تحقيق: مصطفى السقا، بيروت، 1978.
37. المحيا، مساعد بن عبد الله. القيم في المسلسلات التلفازية. السعودية: دار العاصمة، 1994.
38. المدرسي، محمد تقي. المجتمع الإسلامي: منطلقاته وأهدافه. بيروت:دار الجيل، 1982.
39. المودودي، أبو الأعلى. مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة. جدة: الدار السعودية للنشر، 1985.
40. عبد الباقي، زيدان. علم الاجتماع الديني. مكتبة غريب، 1981.
41. عبد المعطي، عبد الباسط محمد وسيد أحمد، غريب. البحث الاجتماعي: المنهج والقياس. الإسكندرية: دار الكتب الجامعية، 1974.
42.عبد المجيد، مريم أحمد مصطفى. التنمية بين النظرية وواقع العالم الثالث. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987.
43. عبد الواحد، مصطفى. المجتمع المسلم. ط2. بيروت: دار الجيل، 1974.
44. عطية، جمال الدين . نحو تفعيل مقاصد الشريعة. الجزائر: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
45. علوان، محمد. مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع: الجماعة. جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 1983.

46. علوان، عبد الله ناصح. التكافل الاجتماعي في الإسلام. ط4. حلب: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1982 .
47. علوان، فهمي محمد. القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
48. عقل، محمود عطا حسين. القيم السلوكية.ط2. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 2006.
49. غربي، علي وآخرون. تنمية المجتمع من التحديث إلى العولمة. ط2. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، 2003.
50. غربي علي وآخرون . من التغريب إلى التأصيل. قسنطينة: دار المعرفة، 1996.
51.غيث، محمد عاطف. التغير الاجتماعي والتخطيط. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1980.
52.غيث، محمد عاطف ومحمد، علي محمد. دراسات في التنمية الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي. الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية، 2002.
53. فرح، محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية. الإسكندرية: المطبعة المصرية للكتاب، 1980.
54. الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها. الرباط: مطبعة الرسالة، 1979.
55.قطب، سيد. العدالة الاجتماعية في الإسلام. ط6. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1964.
56. قطب، سيد. خصائص التصور الإسلامي. بيروت: دار الشروق. دون سنة نشر.
57. قطب، سيد. معالم في الطريق. القاهرة: دار الشروق، دون سنة نشر.
58.قنصوة، صلاح. نظرية القيمة في الفكر المعاصر. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981.
59. قيرة، إسماعيل وغربي، علي. في سوسيولوجيا التنمية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 200
60. القرضاوي، يوسف. فقه الزكاة. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1990.
61.سعود، الطاهر. التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.
62. السيد، السيد عبد العاطي. علم اجتماع المعرفة. الأزاريطية: دار المعرفة الجامعية، 2003.

63. شلتوت، محمود. الإسلام عقيدة وشريعة. ط14. القاهرة: دار الشروق، 1987.
64. الشيباني، عمر محمد التومي. مقدمة في الفلسفة الإسلامية. ط2. ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1995.
65. يحي، معمر علي. الإباضية في الجزائر. غرداية: المطبعة العربية، 1986.
66. يوسف، الحاج سعيد. تاريخ بني ميزاب. غرداية: المطبعة العربية، 1992.

باللغة الأجنبية:

67. cooper-t-the responsible administor an approach to Eunice for the administrative role, London : national univ. public-1982
68 United Nation Guiding Principales For Development Social Welfare Policies and Programmes in the Near Future .New York :United Nation 1988.

ب.المجلات والدوريات :

69. إبراهيم، هلا محمد." القيم والعادات والتقاليد في العائلة اللبنانية ". مجلة دراسات عربية. العدد 04. بيروت، فيفري 1986.
70. الأسد، ناصر الدين. "نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه". دوريه أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2000.
71. الدباغ، عفاف بنت إبراهيم. "المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية". سلسلة إسلامية المعرفة: التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية: المنهج والمجالات. القاهرة: مكتبة المعهد، 1996.
72. اليوسف، يوسف خليفة. "نظام مجتمع التكافل الذي أوجده الإسلام والذي يحاول منافسة دولة الرفاهية ضمن إمكانات محدودة". دورية دولة الرفاهية الاجتماعية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
73. علي، ماهر أبو المعاطي. نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي، دورية "التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية: المنهج والمجالات". القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997.

ج. الرسائل:

74. خواجة، عبد العزيز. "دراسة تقيمية لوضعية السياحة والصناعة التقليدية بولاية غرداية". دراسة مقدمة لنيل درجة مفتش رئيس السياحة، 1998.

75. داود، أتبير مصطفى. "المصلحة المرسلة عند الاباضية بين النظرية والتطبيـــق مـــن خـــلال اجتهادات المتأخرين". رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. قسنطينة: جامعة الأمير عبد القـــادر، 1996.

76. زعيمي، مراد. "النظرية العلم اجتماعية: رؤية إسلامية". رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتورة. جامعة قسنطينة، 1997.

77. سوابعة، مخلوف. "مقاصد الشريعة عند ابن عاشور". رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. قسنطينة. جامعة الأمير عبد القادر، 1996.


الملاحق

ملحق رقم1

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم علم الاجتماع والديمغرافيا

استمارة

دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية

دراسة ميدانية حول الميزابيين المقيمين بمدينة باتنة

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع

إعـــداد الطالب:

بن منصور اليمين

إشراف الأستاذ

الدكتور: زعيمي مراد

السنة الجامعية: **2010/2009**.

1-السن:............

2-المستوى التعليمي:....................

3-الوظيفة:.......................

4-الحالة العائلية: متزوج ( ) أعزب ( ) مطلق ( ) أرمل ( ) .

5-عدد الزوجات حاليا: واحدة ( ) اثنين ( ) ثلاثة ( ) أربعة ( ).

6- عدد الأولاد:.........

7- علاقتك بمجلس الجماعة:.............

8-كيف تعين على فعل الخير؟

-بالتبرع بالمال من غير عوض مطلوب ( ) -بالمعونة في النائبة ( )

-بطيب الكلام وحسن القول( ) -ببذل الجاه والمساعدة بالنفس ( )

9- كيف تحرص على عفتك؟

-بكف اللسان عن الأعراض ( ) -بالزواج( ) -بغض البصر ( )

-بضبط الفرج عن الحرام ( ) -بالصوم ( ) -بالنهي عن التبرج ( )

-بعدم السخرية من الناس ( ) -بعدم التجسس والتنابز بالألقاب ( )

-بعدم السماع إلى المسموعات القبيحة( ) -بإكتساب المال من غير ظلم ولا مهانة( )

-بالإنفاق في المصارف الحميدة( )

10- كيف تحافظ على الأخوة التي تربطك بإخوانك؟

-بالغض عن هفواهم( ) -بزيارهم ومودهم( ) -بالنصح لهم والتناصح ( )

11-كيف تصل رحمك؟

-بالزيارة والسلام ( ) -بالبذل بالمال ( ) -بالخدمة ( ) -بالرعاية والرفق ( )

12-كيف تؤثر غيرك على نفسك؟

-بأن تعطي أكثر مما يبقى لك ( )

-بأن تعطي الشيء مع حاجتك إليه ( )

-بأن تبذل كل ما عندك ( )

13-هل تتصدق على الفقراء:

-رجاء البركة ( ) -تطهير المال( ) -تزكية النفس( )

14- هل تحافظ على دينك عن طريق:

-تعلم تكاليف دينك وما فرضه الله عليك ( )

- الدعوة إلى ما يرضي الله تعالى من أقوال وأفعال ( )

-تقوية روابطك الاجتماعية ( )

-الابتعاد عن البدع والخرافات ( )

-الابتعاد عما تميل إليه النفس والشهوة ( )

15-هل تلقيت تربية دينية ؟ نعم ( ) لا ( )

16-إذا كان نعم هل تلقيتها في:

المسجد ( ) الكتاتيب ( ) أخرى.................

17-هل تحصلت على العمل عن طريق:

-البحث الشخصي ( ) -تدخل الأهل والأقارب ( )

-أخرى......................

18-هل وجدت صعوبة في الحصول على التعليم؟ نعم ( ) لا ( )

19-إذا كان نعم بسبب:

- الفقر ( ) - عدم الاهتمام من قبل الآباء ( ) -بعد المدرسة عن المترل ( )

-أخرى..............

20-هل تلقيت مساعدة للحصول على التعليم؟ نعم ( ) لا ( )

21-إذا كان نعم: هل تلقيتها من قبل:

-الأقارب ( ) -الجيران( ) -المسجد( )

-أخرى......................

22-هل تساهم في حفظ محيطك الاجتماعي من المسكرات والمخدرات وأمثالها؟ نعم( ) لا( )

23-إذا كان نعم: هل تقوم بذلك عن طريق:

-التبليغ عن مدمنيها ( ) -النصح والإرشاد ( ) -الدعاء لهم ( ) -تطبيق مبدأ البراءة

24-هل هناك إقبال على الزواج في المجتمع الميزابي ؟ نعم ( ) لا ( )

25-إذا كان نعم بسبب:

-تيسير شروط الزواج ( )

-تكفل الأغنياء بتكاليف زواج الشباب الفقير ( )

26-إذا كان لا بسبب:

-ضعف الوازع الديني لدى الشباب ( )   -غلاء المهور ( )

27- كيف يساهم مجلس الجماعة في تحقيق التماسك الاجتماعي في المجتمع الميزابي؟

....

....

....

28- ما هي الأعمال التي تقومون بها من أجل الحفاظ على العفة في المجتمع الميزابي؟

....

....

29- ماهو دور مجلس الجماعة في القضاء على البطالة في وسط الشباب؟

....

....

....

30- هل يساهم مجلس الجماعة في محاربة الجهل؟ نعم( )   لا( )

31- إذا كان نعم: كيف يتم ذلك؟

....

....

32- ماهو دور مجلس الجماعة في محاربة الآفات الاجتماعية (سرقة، خمر...)؟

....

....

33- هل يمتثل الميزابيون في باتنة لقرارات مجلس الجماعة؟

دائما( )   أحيانا( )   لا يمتثلون( )

ملحق رقم 2

فهرس الجداول